بين النقد الأدبي الأكاديمي والنقد الأدبي الصحفي، مدخـل إلى نقـد النقد "جامعة الجزائر2" أنموذجا

بوزيان بغلول [*]

الملخص: قد لا يطرح نقد النقد ـ حداثيا كان أو تقليديا ـ من جانبه الشعري أو الشكلي المحض مشكل تأويل نية أو الدافع الحقيقي لناقد النقد هذا، لكن نقد النقد في جانب مضامينه السياقية أو الأيديولوجية التي تخص النقد الأدبي كنقد تطبيقي على النصوص وليس في مستواه التنظيري، فالتنظير أصلا يقع خارج اهتمامات نقد النقد في مقابل الممارسة التطبيقية في مدى إخلاصها للمنهج، فإذا كان وجود النقد الأدبي مرتبط في أصله بوجود موضوعه، وهو الأدب فيشتغل عليه تحليلا ودرسا وتنظيرا فإن نقد النقد مرتبط في أصله بوجود الممارسة التطبيقية على النص الأدبي، ولا بد من التفريق بين تسميتنا للنظريات والمناهج النقدية الموضوعة خصيصا لتحليل النص الأدبي بـ"النقد الأدبي" وهي التي تستحق التنظير وبين الممارسة النقدية التي تُخضع النص الأدبي للمنهج النقدي والتي تستحق نقد النقد، فعندما يستهدف نقد النقد صاحب العمل بالتماس ما يُعتقد أنها عثرات نحوية وترجمية، وغيرها، فإننا بإزاء نية الانتقاد بدافع ملتبس وليس بنية النقد، بخاصة إذا كان المنهج المتّبع في نقد النص الأدبي منهجا سياقيا (كالمنهج التاريخي) أو ما بعد بنيوي (كنقد ما بعد الاستعمار) فلكأنّما نقد النقد قد أوجده أصحابه حينئذ خصيصا للنقاد الذين لا يطبقون البنيوية إلا وهي منظرة تنظيرا عربيا صرفا أو من لا يعتقدون أساسا بما أقدم عليه المغاربة تنظيرا للمناهج البنيوية تنظيرا لا يخلُ من توخي الحذر اتجاه ترجمة المصطلح، وتعريبه، ولا اتجاه ضرورة تنوّع المعجم العربي وأصالته، ولا اتجاه ضرورة تجربة الذات المبدعة الناقدة وثقافتها العربية. إذن ما نقد النقد في مثل هذه الحالة غير محاولة تصفية حسابات قديمة اتجاههم، أو **ادّعاء غير بريء للموضوعية العلمية**[1]

وفي هذا الإطار يدور هدف بحثنا؛ استقصاء الموضوعية البحثية العلمية على المستوى الأكاديمي (نقد النقد والنقد الأدبي على السواء) وكيفية الأداء البحثي العلمي الصارم المبتعد قيد الإمكان عن شبهة الوقوف في المواقف المتحيزة، لأن كثير من المقالات المنشورة عندنا في مجلات جامعة الجزائر2 العلمية المحكمة تكشف عن نتائج قد توْهِم بأن صاحبها بصدد تجاوز **أحكام القيمة**[2] لكن الحقيقة قد تثبت

[*] **-** باحث في تحليل الخطاب الثقافي، الجزائر.

[1] ـ إنه من المفروض أن يكون تاريخ منجز نقد النقد يميل كما وكيفا لصالح نقد المشرق العربي، تبعا لضخامة المنجز الأدبي والنقدي هناك مقارنة له بالمغرب العربي، لكننا ألفينا العكس هو الحاصل؛ لقد اطلع بنقد النقد التلاميذ حينما استنكفه الأساتذة الأكثر تأهيلا، إلا ما وُجّه لذات البين، فكان ذو مستوى كيفي لا كمي، فهم وإن طالهم نقد النقد "المغاربي" الكمي لا الكيفي لم يردوا عليه، لأنهم يعرفون أنه نوع من الغيرة التي قد تصل حد الغرور والحسد مع حميد لحمداني، ومحمد الدغمومي، ومحمد القاضي، وغيرهم، ملتمسين أحكام القيمة التي ينهون عليها، فمحمد القاضي عِوض أن يفعل مثل فعل الناقد عبد الله إبراهيم من نشاط وتبلور عبقرية راح يحسده متوسلا بنقد النقد (في إحدى الندوات النقدية المقامة في السعودية) ــ وقد نبّه الناقد السعودي حسن الهويمل ثلة المغاربة الموجودين معه في تلك الندوة إلى الابتعاد عن إصدار الأحكام بدون تثبّت، وكأنه كان يعلم أن جميع المغاربة مع التونسي القاضي سيسقُطون في الغرور والحسد، وفعلا جميعهم سقطوا فيما حذر منه الهويمل، وكانوا الحلقة الأضعف في تلك الندوة لغةً ووجاهة معرفية ــ فمحمد القاضي قال أن عبد الله إبراهيم وضع يده على عدة معارف ومفاهيم نقدية فاتسمت بحوثه بالسطحية وشبهه بهتلر، والحقيقة أنّ عبد الله إبراهيم كان مثل الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، فبعض النقاد أمدهم الله بقدرة خلاّقة في فروع عدة من تخصص واحد على منوال أجدادهم العرب، الذين كانوا أطباء وفلكيين ورياضيين وموسيقيين وشعراء ونحويين.. فعبقرية القاضي أبت إلا أن تنحرف عن التطبيق والمثابرة ــ لمَّا لم تقدر ــ إلى إصدار أحكام القيمة بسطحية وسلبية غيرةً وحسدا، ثم ماضرّك أيها الحاسد ــ موجه للمنتسبين الجزائريين بالأخص ــ من طالب علم وُجّه لدراسة الطب بمعدل جيد وكانت هوايته هي الأدب، وفي السنة الثانية طب قرر ترك الطب لسبب أو لآخر، وعزم بدله على دراسة جملة من العلوم الإنسانية كالصحافة والأدب العربي ثم الترجمة واحدى اللغات الحية، وهذا كله ليس من أجل أن يهتم بأكثر من تخصص إن هو تفوق في دراسة الأدب العربي، ولكنها الطاقة الاحتياطية من نشاط الذهن وانضباطه في سبيل أهدافه، وفعلاً مكنّه نشاطه من تخصص الخطابات الثقافية مثلا، والذي منه عرّج على عدة تخصصات أخرى حتى ولم يتعمق فيها، فهكذا هو طموح البحث يجب على كل ذي لب مباركته مادام أنه تعمق في تخصص واحد أصلي على الأقل وليس حسده.

[2] ـ لقد فهمنا أن المناهج الشعرية والبنيوية تستبعد نهائيا من فكرها الحُكم على نص إبداعي ما، سواء كحكم قيمة إيجابي (مدح) أو سلبي (ذم)، طيّب، لكن الإشكالية ليست هنا، فالإشكالية كل الإشكالية التي لا نجد لها حل غير تجاوز هذه المناهج (في حالة بلدنا الجزائر والمغرب) هي أن هناك شعوبا لا

العكس لأنه غالبا ما يكون الجانب المعرفي والتقني المتواضع والهزيل هو الذي يكشف عن تلك الأيديولوجيا المرافقة بإطلاق الأحكام غير الموضوعية وغير العقلانية في ميدان لا تحسن فيه. كما نأمل من بحثنا هذا في الوقت ذاته الوقوف عن طريق نقد النقد أيضا ـ ولو جزئيا ـ على المنجز النقدي الأدبي الأكاديمي، بمقارنته بالنقد الأدبي الصحفي مستعينين بالمنهج التاريخي ونظرية القواعد التوليدية التحويلية.

الكلمات المفتاحية: نقد أكاديمي، نقد صحفي، نقد النقد، نقد أدبي جزائري معاصر، مجلات علمية محكمة.

مقدمة:

لما وقفت على مجتمع الصحافة المكتوبة في العاصمة الجزائر مستكنها بعمق حقائقها الجلية والخفية وأنا بعد طالب في معهد اللغة العربية بالجامعة المركزية، ولما كنت القادم إليه من منطقة داخلية بعيدة كان من اليسير عليَ أن ألاحظ الفروق وأعقد المقارنات، فتعامل هذا المجتمع مع اللغة العربية وفي تهيُّب بعضهم البعض المنتمين إلى مشارب سياسية وانتماءات مختلفة تهيُّب الجارة لجارها، وكأنه مجتمع غريب عن اللغة العربية وعن بعضه البعض قربا وشعورا وطنيا. من هذا المنطلق ولّد ذلك كله في ذهني وبسرعة الحلول، ولعلّ الجزء الأهم والذي لا يتجزأ من هذه الحلول هو الكتابة الدورية التوعوية ذات المستوى في تلكم الصحافة من قبل مجتمع معهد اللغة العربية نفسها (المجتمع الذي سأتعرّف عليه أكاديميا لاحقا) تلكم الكتابة التي تنقد، تنافس، وتوجّه، ثم تبحث عن مواطن الخلل ومكامن القصور، لا أن تتقوقع لتُمسك بقلم الهذيان[1]. فنحن أمام **إشكالية** مفادها أن الناقد الأدبي يستقصي موطئ الجمال في نصه فقط. فإذا لم

تحسب على هذه اللغة ولا على هذا الأدب التابع لهذه اللغة بالمرة، أي أن اللغة العربية دخيلة على مجتمعاتها الأصلية، وبقيت هكذا دخيلة عليه نتيجة عوامل التاريخ كالاستدمارات المختلفة، فلم تستوطنه لما استوطنته إلا وهي مُهجّنة، وقد ضاعت هويتها الأولى التي دخلتها بها، إذن لا يمكن أبدا أن يقبل عاقل بأن يعلّم السي حميد لحمداني والسي محمد مفتاح مصريا، أيا كان، من الجيل الحالي أو الجيل السابق، النحو والترجمة، أبدا، هذا غير مقبول، بل **هذا هو حكم القيمة البشع جدا**، لأنه بغض النظر عن الغرور والعصبية يتجاوز عرفا أخلاقيا وهو احترام الكبير والدا أو أخا ـ أوَيجوز أن يقول الابن الصغير لوالده وشقيقه الأكبر أنا أسبق منكما لِثقافتنا وأصالتنا؟! ـ نفس الشيء ما عمله لحمداني مع النقاد المصريين روادا أو تلامذتهم في كتابه "بنية النص السردي" باسم نقد النقد! وقلده في ذلك أغلب نقاد المغرب والجزائر الذين جاءوا بعده، فمصر بالنسبة لجميع الدول العربية الأخرى بمكانة الوالد أو الشقيق الأكبر، إذن حاكِم نفسك وتواضع قبل أن تحاكِم غيرك، وبينهم وبينك ليس قيمة حُكْم أو حكمين، بل قيمة نصف قرن من الأدب الراقي، لقد عاش من عرف حق قدره. ثم إنّ إشارات الجاهزية ذات الأبعاد التبييتية **اللا موضوعية** من جهة أخرى موجودة في كتاب لحمداني "بنية النص السردي" الذي ينهى فيه عن العار، ولكنه يأتي بمثله، وينم ذلك إذا ما نمّ عن عدم الجبلة على العربية بسبب مزاحمة اللغة الفرنسية لها بأخذها في مرحلة الصغر ضمن سياق مغاربي معروف، وقد التمستها شخصيا في عدة تعابير في كتابه هذا، وفي كتاب "دينامية النص" لمحمد مفتاح الذي يستعين فيه بثلة من الأساتذة ــ حتى جزائريين ــ من أجل ترجمة وتعبير دقيقين لكنه وقع في أغلاط نحوية وترجمية لا تُغتفر، لولا أنه ألفه في فترة سابقة لظهور الإعلام الإلكتروني (1987)، وسنتطرق إلى شبيههما عندنا في الجزائر عبد الملك مرتاض أسفله بشيء من التفصيل.

(1)ـ بدعوى الحداثة، تُمسِكُه مسكة غير سليمة إن صحّ التعبير، تجعله يخُط ويُنظّر عن "حداثة"، بيد أنها حداثة إشكالية إلى درجة المسخ؛ تلك التي يكرهها بل يضطهدها من خلال ازدواجية ثقافية، فتلفّق معان وتزيّف دلالات حين تجعل العلم خادما طيعا للأيديولوجيا، حقا هو علم ومنهج وتقنية لكن مُنكّه بطعم العقائد والبلاغات أو المحاول التخلص منها فلا يقدر، ومن ذلك ما صادفته من كتابات كارثية لا تستطيع إدراجها في أي خانة سوى أنّها ردة فعل "النقص" والعلاقة الجد مضطربة بالأدب العربي نثرا وشعرا، ومن ثمة علاقة واهمة ضالة عن جادة الصواب تربطهم بالنقد الأدبي، منجرة عن تأثرهم الشديد بالمناهج الشعرية والبنيوية التي تعود للفلسفة الديكارتية، ودون تنظير وغربلة منذ السبعينيات (ربما كانوا غير ملومين في ذلك الوقت، أما الآن وقد دخل النقد الثقافي ونظريات عدة مغايرة للمناهج المحايثة رافعةً الغطاء عنها، إن لم يكن من خلال النظرية التداولية والحدس في أداء اللغة performance وتوليد الجمل اللذان جاء بهما نعوم تشومسكي فإنه من خلال الحدس الثقافي المقارن على الأقل، فإذًا هذا التجاوز بغض الطرف عن كل ما هو صائر من تحول يطرح عدة أسئلة، من قبيل التعصب للرداءة أو قل التطفل على الميدان والاسترزاق منه)

فعلا، وقد قال أحدهم في مجلة البيان الإلكترونية اسمه عبد القادر المهيدي، احتمال أن يكون أستاذا ثانويا هاويا للنقد الأدبي في مقال له بعنوان **مخاطر النقد الصحافي** ــ مع ملاحظة وجود خطأ نحوي في عنوانه: نحن بصدد نعت وليس صفة مشبّهة باسم الفاعل (الصحافي) لأن الفعل صَحِف متعديا وليس لازما، مع العلم أن من يتلمس الأخطاء النحوية من النظرة الأولى يكون قد تطبع على اللغة وإلا ما كان بقادر على الحدس ــ قال أن: " النقد الأدبي الصحفي ينزع إلى إطلاق **أحكام نقدية** غير معللة وغير صائبة. ويطلق **أحكاماً قيمية** بعضها قاسٍ وجارح. ومن الطبيعي أن يحدث ذلك ردة فعل سلبية لدى الأدباء، وهذا ما تسبب في ذلك التوتر، الذي يسود علاقة الأدباء بالنقاد نتيجة سطحية هذا النقد وتحليلاته التعسفية وأحكامه غير الموضوعية، وتقصيره في مواكبة الإبداع الأدبي"

أما العبارات المسطّرة ذات الخط العريض فكارثية تحتاج لدراسات عميقة تتعلق بطبيعة الظاهرة الأدبية والنقد الجديد، بما فيها نظريات تحليل الخطاب ونظريات الألسنية الجديدة. أما المُسطّرة فقط فمغلوطة أشد الغلط، نكتفي بتعليق بسيط عليها: التعود على التربيت على أكتاف بعضهم البعض حتى أصبح النقد لا بد وأن يرضي صاحب العمل المنقود! ثم من له تجارب طويلة مع النقد التطبيقي الناقد الصحفي أم الناقد الأكاديمي، إذن من هو المواكب للإبداع مِنهما؟

مواصلا قوله: " إن النقد الأدبي العربي يتأرجح بين طرفين: نقد صحفي سطحي متسرع، **يعج بالأحكام النقدية** التعسفية، ويقوم على انطباعية غير معللة مما يفقده مصداقيته وتأثيره الإعلامي، **وبين نقد أكاديمي شديد التخصص**، لا يصل إلى جمهور عريض، ولا يؤدي دوراً إعلاميا ولا أي وظيفة من وظائف النقد الأدبي. إن وسائل الإعلام مطالبة بدورها بأن تستقطب النقاد الأكاديميين، وان تفسح لهم المجال ليكتبوا لها، بدلا من أن تترك النقد الأدبي لصحفيين غير مؤهلين، لأن هذا النوع من النقاد الذين ينشرون كتابات نقدية ضحلة، يسيئون إلى الأدب والنقد والإعلام على حد سواء.." لعلّ الجديد في هذه الإضافة

يستقصه فهو حتما قد استقصى الأيديولوجيا؛ لأن الأدب هو كذلك (جدلي)، فأما إذا انحرف عن طبيعته (إصابة معانٍ جميلة) أصبح موطئ قدم الأيديولوجيا، وما أكثرها في بلدنا الجزائر، تجمع أصحابها مبادئ مشتركة بالعصبية وضد كل جمال ينبو عنها بطبعه.

من ثمة كان **بحثنا هذا الهادف** إلى الوقوف عند المنجز النقدي الأدبي الأكاديمي المنشور في مجلاتها العلمية المحكمة بالنقد والتشريح العلمي الأكاديمي والمقارن، أي بالتماس **أداة المنهج** الذي هو نُثار متفرق من المناهج (التاريخي، بالتحديد سياق حياة الناقد والمنهج اللغوي المعياري والمنهج المقارن ـ عند إجراء نوع من المقارنة بين النقد الأدبي الأكاديمي كمنتج يخص الجامعة الجزائرية، باعتباره تجمع تقديري في إطار من التميّز بالعلم وجدية البحث عن سواه من النقد أي النقد الأدبي المعتمد على كفاءة و تجربة الإعلامي بخاصة في الصحافة المكتوبة الجزائرية ـ ونظرية اكتساب اللغة لتشومسكي language acquisition device) كل ذلك مطعما بالتحّلي بالروح العلمية التي هي موضوع البحث وآليته في نفس الوقت. عندما نُخضِع النقد نفسه كموضوع للتفكير والتحليل تحليلا وصفيا بإطلاق الفروض ومناقشتها مناقشة منهجية. وقد حاولنا استقصاء ذلك كله عبر مدونة نقدية أكاديمية يصدرها قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبو القاسم سعد الله، اسمها مجلة اللغة والأدب المحكمة.

1. نقد النقد وأيديولوجية الناقد:

1.1 مفهوم نقد النقد:

عندما كان نقد النقد هو البحث في معرفة المعرفة، فإذا كانت السرود بكافة ضروبها بحث في المعرفة فإن المناهج النقدية هي بحث في معرفة المعرفة، فسيتجلى للباحث/ الطالب مدى درجة التلاحم في بنيانها إن أتيحت له درجة من الحسية النقدية، ودرجة متقدمة من الروح العلمية تسمح له من ملاحظة أن الممارسة النقدية عندنا بالجزائر **تمتح إشكالياتها من الأشكال والمضامين** معا وأدناها إلى طرح السؤال؛ أيديولوجية الناقد/الأستاذ الجامعي من عدمه، في سياقه الذي لا يوفر شروط الدراسة الشكلية العلمية وفي اللحظة النصية التي تقف فيها الذات بإزاء النص لتهندسه سنكرونيا، أو أثناء الانتقال من هذه الهندسة (الإجراء الوصفي) إلى التصنيف تسقُط في تأويل المعنى ذاتيا، والمقصود بـ(معا) أن الذات المحللة تلون النص تلوينا أيديولوجيا لأنها هي "تاريخية السياق السوسيو ثقافي" ـ وقد تربّت في كنف الدوغمائية التي تقصي الآخر بمتناقضات الحرية والدين ـ مهما وقفت بإزاء شكلية الحداثة ليس بمقدورها الإخلاص لها، فماذا يصنع أسد يجد نفسه بإزاء غزالة؟ سوى أنه يمزقها. سوى أن يكون الحس النقدي الذي نتحدث عنه هو لا وعي الذات التي تمدّه بتلك المناهج عن طريق الإعلام السيّار أو تلقنها له على مدرجات الجامعة بالثقافة (إذن باللغة والأدب والخطاب) أو قل لا تعي لا شعوريا بسيميوطيقا الكون الثقافي المتعدد المختلف الذي يجمعها مع غيرها على هيئة "شكل" نتيجة لفعل رسوخي مسكر بالنسبة لدوغمائية بعينها.

هو "شدة التخصص" المضافة إلى (عدم تنظير الأكاديميين المغاربة غربلة لما استقوه من أوروبا من نظريات نقدية عكس الخصوصية العربية المشرقية في هذا الجانب) هو آليات التحليل الشكلانية البنيوية الجافة الصماء التي تتلاعب بالدلالة وتقلبها كما يقلب الجائع مائدة عامرة بأنواع الأطعمة ولا يستهدف منها شيئا ظانا أن بعضها فاسد، فأين شدة التخصص؟ ويحَكُم إنكم لم تصيبوا جوهر الأدب بعد أربعين سنة ضياع وتيهان عن جوهره وهو المعنى الجميل!! لا بد وأن تذوق وتحكُم حُكم قيمة وإلا متّ من الجوع، وإلا تمزج بين ما هو من طبيعة الأدب وبين ما هو ليس من طبيعته (الإجراءات العلمية) على الأقل، مع ذلك هناك عندكم كِبر مرضي قرين الجهل والتشيطن والتقوقع؛ فالحُكم بل الحُكم الذي أصبح قانونا والذي يجب الوقوف عنده هو حكم المدح والمجاملات التي أقصيتموها تعسفا عن النقد وهي جزء لا يتجزأ من تكوينه الطبيعي، وأبقيتموها إجراءً رسميا خفيا وظاهرا بينكم وبين طلبتكم بخاصة المفروضين أنهم بصدد احتلال أمكنتكم، وقد توطد في لا شعوركم ثقافيا بالرسوخية، بيد أنه هو المضمر القبيح عينُه الذي يخولكم الاستغناء بالمجاملات والتملقات التي لا تنتهي عن الجهد والمشقة، سواء في امتحانات الدراسات العليا أو في رسائل وبحوث الترقية، ليت شعري كيف يصبح التملق هو معيارا للتفوق وفي موضوع النقد والأدب؟ أخشى أنه الفساد بعينه، ومظهرا من مظاهر التخلف يجب أن يسلّط عليه الضوء وفورا بمناسبة الجزائر الجديدة. ثم أنتم الذين لابد أن تنشروا كتاباتكم في الصحف الوطنية تواضعا وإبداعية، ومساهمة وطنية في تنمية بلدكم ثقافيا، كما يفعل غيركم من المصريين والسودانيين والأردنيين وغيرهم لتنافسوا النقاد الصحفيين الذين يفوقونكم ذكاءً (حسب نظام التوجيه في البكالوريا) ومطواعية لغوية: أم لم يخطر في بالكم جماعة العقاد وعبد المعطي حجازي وفاروق شوشة يوما وغيرهم كثير؟ فنتيجة الترفع عن هذه المنافسة الضرورية وحدها عندنا يحدث طغيان للنقد الصحفي المحترف ساقطا في مرض القسر والاختزال كما يقول المترجم العربي رضوان الظاظا: "**نقدنا الأدبي العربي يعاني من مرض القسر والاختزال لأن النقد الصحفي (نقد الأعمدة) يطغى على النقد الأدبي الحق..** " ينظر مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، عالم المعرفة، العدد 221، ص5.

أما نقد النقد فهو نقد لنقد آخر وكلاهما مستكنِه أداة المنهج النقدي الخاص، حسب جابر عصفور "**نقـد النقـد قـول آخـر في النقـد، يـدور حـول مراجعـة القـول النقــدي ذاتـه وفحصـه، وأعني مراجعة مصطلحـات النقـد وبنيته التفسيرية وأدواتـه الإجرائية** "[(1)] "**فالنزعة إلى معرفة بفلسفة النقد وآليته ومقاصده هي مشغل نقد النقد ومحوره**"[(2)] ذلك "**أن موضوع النقد الأدبي يتضمن عنصرا واحدا هو دراسة الأعمال الأدبية وطرق تلقيها وتذوقها، أما حين نمعن النظر في موضوع نقد النقد فسنجده يتضمن عنصرين مختلفين: أولهما النقد الأدبي في مستوييه النظري والتطبيقي، وثانيهما الأعمال الأدبية، و هذا يعني أن موضوع نقد النقد أوسع من موضوع النقد الأدبي، لأن النقد الأدبي نفسه يقع ضمن موضوع نقد النقد**"[(3)] لذلك فإن نقد النقد الذي اضطلع به لحمداني هو ميتا نقد ومفاضلة وليس نقد النقد، كونه يركز على أساليب النقاد في التعاطي مع مفاهيم: البنية واللغة والأيديولوجيا طبقا لفرانكفونيتهم أو سكسونيتهم أي التعاطي مع النقد إما بالعقلانية المحضة أو إيلاء التجربة الذاتية قسطا من الأهمية. وتبقى التقنيات البنيوية عاجزة جزئيا أو كليا في بعض النصوص على إفراز الدلالة، ومن مهارة الناقد وكفاءته حينئذ استكمال الوصف بالحدس الذي يدعوه لحمداني تأويلا وتأمّلا، ولا وعيا للفكر وهو بحضرة الآلية التجريدية! لكنه في الحقيقة فشل للفكر البنيوي في إجلاء غير أيديولوجية التقنين العاجزة عن الإمساك بخلجات ما تبدعه الذات من دلالات، فهو فكر غير واع بنفسه لأنه يقف ضد طبيعة الأشياء.

ولعلّ هذا النوع من النقد قديم في الممارسة النقدية العربية، إلا أن التنظيرات العربية الحديثة له لم تتجاوز بعد مرحلة التأسيس، بالرغم أن واقعنا الأدبي والنقدي يشير إلى تحقيق قدر مهم من التراكم، ولكنه يشير أيضا إلى تلك الثغرة المتمثلة في ضعف نقد النقد غالبا، نتيجة عدم التماثل والتطابق في الموضوع والغاية بين النقد الأدبي ونقد النقد، الأمر الذي يستدعي إمكانية استقلال نقد النقد كما يقول الناقد باقر جاسم محمد: "**يستلزم هذا الفرق الجوهري بين موضوع النقد الأدبي، وموضوع نقد النقد بالضرورة العلمية، العمل على فكرة استقلال نقد النقد عن النقد الأدبي، كما يترتب على هذا الاختلاف في الموضوع أن يختلف نقد النقد ، بهذه الدرجة أو تلك عن النقد الأدبي في كل من آلياته ومصطلحاته وأهدافه التي يتغياها، من منطلق أن نقد النقد ينطوي بالضرورة على النقد والانتقاد ونعني به نقد الأفكار والأسس والمناهج معا**"[(4)]

1. 2 نظرة تاريخية مقارنة بين النقد الأكاديمي والنقد الأدبي الصحفي:

في الحقيقة البحث عن مكامن القصور أو اللا علمية في معقل العلم لهو أمر غريب حقا، ويطرح إشكاليات أخلاقية وأيديولوجية، ومريب في حالة عدم كفاية الأدلة، لكن سنجد أنفسنا مضطرين من أجل تقريب الفهم وكشف الخلل إجراء مقارنات، ونحن بصدد الوقوف على نوعية وتراكمية ذلك النقد الأدبي الأكاديمي الجزائري، إذا جاز لنا أن نطلق عليه **نقدا جزائريا** معاصرا لسببين رئيسيين؛ السبب الأول هو أنه منتوج نقدي مصنّف في خانة البحوث التي لا تتعدى صفحاتها الخمسة وعشرون صفحة، في الغالب الأعم وليس كمصنّفات، فالمصنّفات إن بحثنا عنها سنجدها تكاد تقتصر على رسائل الدكتوراه والماجستير لعدد معين من أساتذة مخضرمين، يعني أن الأستاذ يكتفي بطبع ماجيستيره ودكتوراته ونشر بحوث قصيرة في مجلة القسم ولا يشغل نفسه بتأليف كتبا جديدة، كما هو الشأن بالنسبة لقسم اللغة العربية وآدابها في ملحقة ابن عكنون على سبيل المثال لا الحصر؛ أصبحت تشكّل مرجع تاريخي حتى لا أقول جبل تاريخي، حتى أمام مؤلفات الأساتذة الجدد باعتبارها ألِّفت منذ عقود وأُكتُشف ما تحمله من عيوب مثلها مثل مصادر التراث في التاريخين الفقهي والبلاغي القديم القابلة للنقد والتصويب، والتي تمت قراءتها قراءات

---

(1) ـ جابر عصفور، **قراءة في نقاد نجيب محفوظ ملاحظات أولية**، ص 12.

(2) ـ نجوى الرياحي القسطنطيني، **في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره**، ص 35.

(3) ـ باقر جاسم محمد، **نقد النقد أم الميتانقد، محاولة في تأصيل المفهوم**، ص118.

(4) - المرجع نفسه، ص107.

جديدة، ووُجدت الثغرات المنهجية التي تكتنفها، غير أنها مازالت تحظى بالتصنيف الخاص وأثر السّبق في المكتبات الجامعية منها: « الرواية العربية الجزائرية بين الواقعية والالتزام » لمحمد مصايف و« في الأدب الجزائري الحديث» لعمر بن قينة و« اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصول الجمالية والتاريخية للرواية الجزائرية » لواسيني الأعرج و« دراسات في الأدب الجزائري الحديث » لأبو القاسم سعد الله و« بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ» لعثمان بدري.. إلخ. والسبب الثاني هو أن نسبة ليست بالقليلة من تلك البحوث النقدية الأكاديمية المنشورة في مجلاّت محكّمة ورقية فصلية أو سنوية وأخرى إلكترونية تصدرها معاهد وكليات اللغة العربية وآدابها في كامل ربوع الوطن والتي يطلق عليها اسم "مجلة علمية محكمة" تعود لأساتذة عرب مقيمين بالجزائر وحتى من غير الأكاديميين، حين يتم إرسالها كي تنشر كمساهمات عربية ودية تفاعلية في مجلات: "اللغة والأدب" مثلا أو "الآداب واللغات" التي تصدرهما جامعة الجزائر2، ومجلّة "المخبر" التي تصدرها جامعة محمد خيضر ببسكرة، ومجلة "الآداب" التي تصدرها جامعة قسنطينة، ومجلّة "الجيل للدراسات الأدبية والفكرية" التي تصدر بالشراكة في طرابلس/لبنان، ومجلّة دراسات أدبية، وهي مجلة أكاديمية نخبوية يصدرها مركز البصيرة في الجزائر.. وغيره

في هذا البحث اخترنا العدد 15 و 29 من مجلة "اللغة والأدب" السنوية التي تعتبر المنبر الأول لأساتذة وبحاثة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر2، أي منبرهم لممارسة النقد الأدبي ونقد النقد، وتصنّف أبحاثهم عندئذ في خانة الأكاديمية، دون الخروج به أبدا إلى الساحة الثقافية والإعلامية التي توسّعت كثيرا في السنوات الأخيرة وعجّت بالأركان والملاحق الأدبية كأي دولة من دول المشرق العربي، خذ مصر مثلا، تساهم نخبتها الأدبية الأكاديمية دون توقف في صحف ومجلاّت سواء كانت قومية أو حزبية، كالأهرام و اليوم السابع، الوقائع المصرية، الجمهورية، الوفد و الوطن، روز اليوسف، أخبار الأدب.. ، بمقالات وأعمدة نيّرة، منذ مطلع القرن شهدت سجالات: محمود العالم وطه حسين وزكي نجيب محمود، ثم شكري عياد، عبد القادر القط وجابر عصفور، عبد المنعم تليمة وعز الدين إسماعيل وشوقي ضيف وقاسم عبده قاسم مع غيرهم من النقاد "الإعلاميين" الغير الأكاديميين، كالعقاد ونُعيمة وسيد قطب ومحمد حسنين هيكل ورجاء النقاش وصولا إلى أبو المعاطي أبو النجا وفاروق شوشة وحياة أبو النصر وغيرهم كثيرون، فرسّخت كتاباتهم النقدية الأدبية والثقافية للعقلية النقدية السجالية المفتوحة مع الطرف الآخر بدون عقدة التفاوت في المستوى، وتعدّته إلى المشاركة في صناعة الحياة الثقافية والسياسية مع مختلف المراحل حتى يومنا والدليل أمامنا؛ في تجاوز محنة سياسية وأمنية عويصة بدون خسائر جسيمة عكس الذي حدث مع الجزائر، ذلك لأن المجتمع المدني المصري أنضج ونخبته المثقفة أقوى تأثيرا في الحياة المدنية وفي شتى المجالات؛ لا يهم في ذلك الدرجة العلمية بل المهم القيمة الفنية لِما يكتب من نقد، لذلك من السياسيين من يرى أن محمد مرسي خلعه الناقد المتكاتف مع الأكاديمي ولم يخلعه العسكر، " **الحل يتمثل في المجتمع المدني الفاعل القادر على تفكيك ثقافة الخوف، وتفكيك ما يتعولم منها وما يرتبط به من إرهاب، تعديل ومعادلة الخوف بين الحاكم والمحكوم ورد المخاوف إلى مصادرها الاجتماعية الأولى** "[(1)]

ثم إن التنظير (نقد النظرية النقدية الجديدة وليس نقد النقد الأدبي) قد بلغ مبلغا عن طريق التنافس بين النقد الصحفي والنقد الأكاديمي عبر الصحافة اليومية المصرية، لأن النقد الأكاديمي المساهم في جريدة الأهرام مثلا لم يقدر لوحده على أن يُمعن التمحيص والغربلة المستمرة لتلك النظريات التي كانت ترده من أوروبا، لينتقد البنيوية والحداثة مثلا من جهة عدم ارتباطها بالجذور وافتقاد الموهبة واللغة لدى صاحبها، أو غموض الشعر الحداثي آنذاك، وهلم جر، كما يقول الباحث المصري عماد محمد: " **وقد فتحت الصفحات الأدبية للأهرام الأبواب علي مصراعيها للنقاد من رافضي الحداثة، ويستعرض البحث هذه الآراء بالتفصيل، فهناك من انتقدوا أغراض شعر الحداثة، وهناك من رفضوه متعللين بافتقاد مبدعيه للموهبة، وهناك من اعترفوا بقصيدة الشعر الحر، لكنهم لم يعترفوا بشعرائها بعد صلاح عبد الصبور ورأوا أنها قد انتحرت بعد**

---

(1) ـ زياد العناني، **http://www.alghad.com/articles/651942** ، موقع الغد.

وفاة فارسها، بينما حاول البعض أن يضعوا أسساً لقبول الحداثة من جهة ارتباطها بالجذور، وهناك من تسلل لمهاجمة الحداثة عن طريق اللغة، وهناك من النقاد من أكدوا أنهم لا يعادون الحداثة، لكنهم انتقدوا ما يرونه سلبياً فيها مثل كونها مستوردة من الغرب، كما احتل الغموض مقدمة الاتهامات التي أخذها النقاد والمبدعون علي شعراء الحداثة، وهو أكثر ما أُفردت له المقالات وبُسطت له المساحات، ويلفت البحث إلي أن الصفحات الأدبية بالأهرام لم تترك باباً دون استغلاله لمواجهة الحداثة، فانتقدتها وأبرزت سلبياتها عن طريق المقالات والحوارات والتحقيقات وقصائد الشعر.."[1]

وبرغم نشاط مصري مفعم بالنقد والأدب في الاتجاهين، لم يُرضي ذلك أحمد أمين فذهب في ثلاثينيات القرن الماضي في شكل خصومة نقدية قل نظيرها وجهها إلى وزير المعارف آنذاك طه حسين ــ وبعد قرابة القرن من الزمان من المستحيلات أن تجد له مثيلا في الجزائر ما يعني أن حداثة المصريين في ذلك العصر قد تغذت بفلسفة الأنوار حقا أما حداثتنا نحن فقد عميت بفلسفة الأيديولوجيات ــ التي مفادها ميل طه حسين إلى المداراة والمجاراة وإيثار العافية على مزاولة النقد بعد الإستوزار والمكاسب المادية التي نالته، وطبعا أنكر حسين على أمين حكمه واصفا إياه بالتسرع والنقد الجديد بالهش، طبعا يذكرنا هذا بنقادنا الشباب نور الدين السد وبشير ضيف الله وعز الدين الجلاوجي.. ويوسف وغليسي من كثرة ما تملق أستاذه مرتاض حتى لكاد يعبده وهو غير مستحق له، فقدمه للصالونات وللجوائز في الخليج ليحافظ على دوران الحلقة[2]، فلماذا لم يحصل ذلك مع أكاديميونا؟ النقاد الجزائريين أبو القاسم سعد الله، وعبد الملك مرتاض، وعبد الله ركيبي، وصولا إلى عبد القادر بوزيدة، وعلي ملاحي ومحمد شنوفي، وعمار بن زايد.. إلخ لولا أن هناك مشكلات عويصة ارتبطت بالذوات لا الموضوعات، أجلاها عدم النزاهة الأخلاقية والعلمية معا؛ ذوات غايتها الاسترزاق لا الذود عن الثقافة، فطاحلة النقد والأدب المصري الحديث قبل عام 1967 كانوا يلجون الأدب عن حب وإخلاص له برغم قلة الموارد الاقتصادية في ذلك الوقت، وإذا ما توجوا مسارهم الدراسي بشهادات عليا فاللهم بارك وإذا لم يحدث ترى كل واحد منهم مِعول من معاول الثقافة البناءة في صحف البلد السيارة أو في السينما أو في التمثيل للإذاعة دون انتماءات ولا ولاءات والأمثلة كثيرة منها فاروق شوشة وفاروق خورشيد وليلى رستم... أما عندنا في الجزائر ــ وفي الوقت نفسه تقريبا ــ كانت المحاصصات السياسية في الجزائر في أوجها لتولية المجاهد الفلاني وابن الشهيد الفلاني على المجلة الأدبية الفلانية أو البرنامج الإذاعي الفلاني وجلّهم مفرنسين، فاضطر العدد القليل (بعد أن أدركوا أن الاصطفائية السياسية بدل الاصطفائية الإبداعية والنخبوية المعرّبة ستقود البلد إلى الهاوية) الانضمام إلى الأسلاك الأمنية أو العمل في التربية (مع التحفظ الشديد لأنه لم يكن هناك وقت كاف لبروز أقلام ومواهب إبداعية كثيرة) كما أن انضباط سلك التربية لا يسمح بتفجير الطاقات الإبداعية.

لكن هناك من يقول أن المقارنة في شؤون النقد الأدبي بين ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين لا تجوز، فنقول له بل تجوز مادام أن هذه الفجوة في الإخلاص للعلم والنقد كعلم حقيقي بيننا وبين عصر النهضة العربية ناتجة عن انتكاسة التنوير العربي بعد النصف الأول من القرن العشرين، انتكاسة راجعة لدخول الحاكم والفقيه وداعي التقنية محك اقتسام الفائدة والمحاصصة في

---

(1) ـ عماد محمد، **اتجاهات الصفحات الأدبية في الصحافة المصرية في العقدين الأخيرين من القرن الماضي**، من المستخلص.

(2) - مقال نشره طه حسين في مجلة الرسالة العام 1933 رد فيه على أحمد أمين: " أبانت خصومة الأدباء الشيوخ مع الأدباء الناشئين على أنهم ضعاف وأثِرون عجلون.. يريدون أن يبلغوا بالجهد اليسير ما بلغه أسلافهم بالمطاولة والمحاولة، واحتمال الأذى، وكثرة القراءة، والدرس.. وفيهم كبرياء لا تخلُ من سخف تذكّر بأخلاق الأطفال فهم إن كتبوا رأوا لأنفسهم العصمة، ولم ينتظروا من النقاد إلا ثناءً وحمدا، فإن أدركهم بعض النقاد قالوا حسد وتكبر، اضطهاد وإثار وتثبيط للهمم، وفيهم غرور يخيل إلى واحد منهم أنه ممتاز من أترابه جميعا .. ، أمام هذا الجيل الرخو من الأدباء الناشئين يضيق الناقد المخلص بالنقد ويزهد فيه ويصد عنه صدود في بعض الأحيان، ولكنه لا يلبث أن يرى حصاد الأدب عليه فاستقبل من أمره ما استدبر، ويثني على قوم وهو يعلم أن ثناءه سيملؤهم غرورا وسيخرجهم عن أطوارهم ويعيب أقواما، وهو يعلم أن عيبه إياهم سيدفعهم إلى اليأس إن كانوا أخيارا وسيدفعهم إلى القحة إن كانوا أشرارا ". ويقول زكي مبارك في مقال نشره أيضا في أربعينيات القرن الماضي يدعو فيه طه حسين للمجادلة والاختلاف : " إن المقادير لا تريد أن أسكت عنك أو تسكت عني، وفي ذلك الخير كله، لو تعرف وأعرف، وهل ارتفع العقل إلا بفضل الخلاف، وهل يتصور الناس وجودا للحياة التشريعية لو لم يثر الخلاف بين الشافعية والحنفية، وهل تأصلت مشكلات النحو والصرف إلا بفضل الجدال بين البصريين والكوفيين، وهل تفوق العقل المصري الحديث إلا بسبب النزاع حول القديم والجديد والصراع حول المذاهب الاجتماعية والأحزاب السياسية، إن الخلاف نعمة ويا ويلنا إن لم نختلف .."

المكاسب على حساب قيم العلم. أي رضى التيارات الفكرية والنخبوية بما فيها الأكاديمية العربية (مع وجود تفاوت) بالأيديولوجيا التي تقف ضد العقلانية. أي أن العطب كامن في ضرورة التفريق بين النظرية النقدية الأدبية وبين العلم/المنهج النقدي من منطلقات خصوصية الأدب كظاهرة إنسانية، وثانيا ضرورة ملحة تدعو أنه لابد من التسليم الراسخ بأن القانون الأعلى للمنهج/للعلم لابد أن يكون ضمن النظرية النقدية وهو العقل و**العقلانية** وليس **مبادئ العلم** المادي (الموضوعي)، فالعقلانية هي الحماية ضد العُرف والأيديولوجيا وليس العلم، ولا نقصد بالعقلانية تلك الموجهة أو المفرَطة العقلانية (الأداتية) التي نكتشف أبستمولوجيا أنها تقف على ما ليس هو من طبيعتها ألا وهو العفوية التي لا تستثني الذات من النقد بالمقارنة بين المدرستين الفلسفيتين الفرنسية والأنجلو سكسونية لأنهما هما خلفية المنهج النقدي المعرفية.

بل وسيقول قائل منهم أن نقادنا الأكاديميون موجودين ويمارسون في "الشروق" و"الخبر" والقناة الأولى.. وكانوا قبلا في مجلة "آمال" أقول بلى، لكن هؤلاء كأمين زاوي (منتدى الشروق الخميسي - برنامج حبر وأوراق) وواسيني الأعرج (عمود الخبر: دياسبورا والقدس العربي) وغيرهم قد ساروا منذ ردح في نهج الروائيين الأكاديميين وليس في مسار النقاد وهل انتهى النقد والأدب بانتهاء "آمال"؟ ناهيك أنهم اشتغلوا في بداياتهم كصحفيين، فهم لا يخضعون الظواهر المستجدة في النقد الأدبي للتحليل العميق ولا الأدب الروائي والشعري للمنهج النقدي المنضبط والمعقول، بل تكاد معظم مقالاتهم مقتصرة على تحليل إعلامي سطحي لراوية فلان أو التعريف بالشاعر علاّن، أو عرض كتاب أو جرد شتات أخبار الرواية والأدب المتعالق بالسياسي والظرفي من هنا وهناك، والعرض نوع من أنواع الكتابة الصحفية*، ومن أمثلة ذلك التعليقات السياسية التي خاضها أمين زاوي ضد الإعلام المصري إثر أزمة مباراة كرة القدم عبر يومية الشروق مثلا كانت مشحونة بقيم التعصب القبلي[1]، وهناك من النقاد الأكاديميين يمارسون فعلا نقدا علميا في الشروق ووسائل الإعلام الأخرى لكنهم يعدّون على أصابع اليد، وينحون منحى واسيني وأمين زاوي كالنقاد الأكاديميين: عبد القادر هني، مخلوف عامر، أحمد منّور مثلا وحبيب مونسي واليامين تومي من جامعات أخرى، أما القائمة الطويلة من أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها المعروفين أو المخضرمين أن صحّ القول كعبد الرزاق عبيد وخميسي حميدي، ومحمد العيد رتيمة، ومصطفى فاسي، عبد القادر بوزيدة، وعثمان بدري، وخولة الإبراهيمي، وعبد الرحمن الحاج صالح، ومصطفى حركات وعمار زايد .. فإن رؤية عمود لهم على صفحات الخبر أو الشروق يعد ضربا من ضروب الخيال ــ طبعا ستكون حجتهم هي "الانشغال" وهي حجّة غير مقنعة كلما أجرينا المقارنة بينهم وبين أقرانهم أكاديميو الديار المصرية وحتى السودانية مثلا ــ وليس الأمر مقصورا على الأعمدة الصحفية، بل كذلكم على المؤلفات والبحوث النقدية ذات الصيت الوطني بالرغم أن معهدهم هو الأول وطنيا من حيث توفير الإمكانات اللوجستية لكنه ليس كذلك في مستوى ما يقدمه من زاد علمي.

السبب المباشر في رأينا واضح بحكم المقارنة مع نظرائهم المشارقة وجوهره هو في لا مطواعية لسانهم للغة العربية، أي لسان الفصحى لديهم يستعصي عليه ترجمة الأفكار بخفة ورشاقة، وذلك ما يحيلهم إلى تبديد كثير من الوقت وضياع كثير من الجهد إن هم حاولوا مزاولة الكتابة الدورية*، ناهيك عن الإحراج

---

* - والنوع الكتابي في علوم الإعلام والاتصال يوازي المنهج في النقد الأدبي، لا مانع من أن يُدرج العارض فيه منهجا آخر متعلق بموضوع ما يعرضه، سواء كان أدبا (رواية، شعر، نقد أدبي) أو ظاهرة اجتماعية أو علوم مادة.،، لأنه غير مقرون بحجم عكس الأنواع الأخرى.

(1) - أذكر مقالا له بالشروق اليومي في سياق تلك الأزمة بعنوان "لماذا تغيب الجزائر عن اهتمامات المثقفين العرب؟" يسخر فيه من فاروق حسني الذي خسر انتخابات منظمة اليونيسكو، لكنه غاب عنه أن الفرق بينا ثقافتنا وثقافتهم أن مصر بلد الثقافة لأنها عملت على دمقرطتها، فمصر بلد ديمقراطي الثقافة بالرغم من أنه ليس ديمقراطي سياسيا واقتصاديا، وعندما تغيب الجزائر عن اهتماماتهم، فهم يعلمون أن هناك شيء على ما لا يرام عندنا سبق وأن عانو منه هم أنفسهم، إذن مارس أولا نضالك وولي وجهك شطر بلدك وأترك تلك الخزعبلات، من أجل أن تصبح الجزائر ديمقراطية الثقافة، فسترى عندئذ كيف تصعد الجزائر إلى اهتمامات المصريين والعرب. ونشك أن تكون في مستوى التحدي وصنوك من المثقفين العلمانيين، فالإلمام بالحداثة الغربية دون الإلمام بمعارف وقضايا التراث غير كافٍ.

*. ولكن هذا الحكم ليس عام بالضرورة، فيهم من الأساتذة ممّن بمقدورهم تجاوز مشكلة الكتابة النقدية الدورية عبر الإعلام السيار، أما فرض أسلوب في الكتابة فهو المشكلة العويصة التي يصعب لهم تخطّيها في نظرنا، ذلك أن ما تعودوا عليه من تحرير مشبّع بالنظري وبالمصطلحية سيكون بمثابة عقبة لهم في التفاعل الإيجابي مع النقد الأدبي ونقد النقد العمليين الحافلين بتنوع محتوياتها اللسانية تبعا لثقافة الكاتب، وذلك هو محكّهم الحقيقي مقارنة لهم مع الأقلام الإعلامية الدورية في الموضوع. فهل سيقدرون على مزاولة الكتابة الدورية بلغتهم الشارحة التقنية الـ Meta-critic الأبعد في جفافها عما تكون

أمام مقالات منافسيهم هؤلاء وأولئك، أي نظرائهم وأقرانهم النقاد الإعلاميين، قد يكون إبراهيم رماني وعبد الوهاب شعلال، وشوار الخير، وسعيد خطيبي، وعز الدين ميهوبي، وحفيظ بن جلولي، وعبد القادر بن سالم ومحمد درود، وعمر بودية، وحميد عبد القادر، وقلولي بن ساعد غيض من فيض ممّا نعني بهؤلاء وأولئك، ممّن يحملون شهادة الليسانس بل ممكن البكالوريا فقط بيد أنهم متحكمين في اللغة تدوينا/أسلوبا وتلفظا وتداولا سلسا دون مشقة وعناء تحكم العقاد فيها.

صحيح أن هؤلاء مفتقدين للتبحر في الدرس الأدبي والمعرفة الأعمق بالمنهج، لكن هذا لم يمنع الكثيرين منهم من مزاولة نشاط نقدي قل نظيره، وقد وقفت بنفسي على صحفيين يحضّرون لمقالاتهم النقدية بجدية تمتد إلى أسابيع؛ عندما يريد الصحفي في قسمه الثقافي نقد نص جديد نقدا سوسيولوجيا أو تاريخيا ينزوي مدة من الزمن لتحصيل ما يمكن تحصيله، لكنه في الأخير يرضى بخلاصة المنهج التي تساعده على التحليل[1]، لأن التعمق يستغرق منه وقتا أطول، والنموذج الأمثل هو دراسة النص دراسة تاريخية، حيث أن فهم منهج تين هيبولت (البيئة والجنس والعصر) مرتبط بفهم منهج أستاذه سانت بيف، بل لابد من الإحاطة بالنقد الحديث بأكمله خاصة ما عرف بالنقد الجامعي الفرنسي أو النقد اللانسوني، والأمر سيان مع المنهج السوسيولوجي فإن فك شيفرة البنيوية التكوينية غير ممكن دون فهم كامل وعميق للنظرية البنيوية، وهذا لا يعني أن الناقد الصحفي يفضّل المناهج التقليدية عن المناهج الحداثية كي يعطي أحكام القيمة كما يدّعي الأكاديميون بل يستطيع تحليل النص الروائي تحليلا بنيويا مختزلا بجرد الشخصيات وذكر علاقاتهم ووظائفهم بتحليل علاقة البطل بالشخصيات بالراوي، سرد كرونولوجيا الأحداث وتحليلها مستفيدين من مفارقات تودوروف المختلفة عن مفارقات جيرار جنيت بخصوص مبنى الحكاية، وهي الزمن والتبئير والصيغة، غير أنه غالبا ما تجرهم جزئية من الجزئيات إلى الخروج إلى الإشادة ببراعة الكاتب/الروائي، غير أن الناقد الصحفي غير مضطهد في لغته تجعله يكتفي ببساطة التعبير بالمقارنة مع الناقد الأكاديمي لأن ثنائية القصة/الحكاية في السرد البنيوي يوجد ما يناظرها في الأنواع الصحفي وهي ثنائية الخبري/ الإنشائي، غير أن الخبر مقدس والتعليق حر، ومرد ذلك أن الصحفي مسكون لطبيعة عمله بالوقائع الخبرية والاجتماعية، وليس شيئا آخر، لأن أيديولوجية المؤسسة التي تكفل لهم إسداء "الخدمات" أو اللا نزاهة في أبحاثهم العلمية جد هامشية مقارنة بالمؤسسات الأكاديمية.

وربما تكون مقارنةً "بالرفعة" والعزلة من أهم أسباب ذلك، حيث المنابر الصحفية أقرب إلى إنتلجنسيا الشعب العملية النقد، بينما عزلة الجامعة عن الإنتلجنسيا الواسعة يجعلها مقر إنتلجنسيا مؤسسة خاصة تطبق أوامر مالكها (السلطة) الغير عملية، ناهيك أنهم من خلال المنهج التاريخي يعرفون حق المعرفة أن أفضل المنتسبين والمتعاملين مع اللغة العربية وآدابها في جميع مستوياتها عندنا هم من أبناء الولايات الداخلية سنة الله في خلقه، أما أبناء العاصمة فهم دخلاء وعالة عليها* بالتعود على "الخدمات" لبعضهم

عليه طبيعة هذا الذي ندعوه نقد"الأدب"؟ هل سيقنعُون العوام من الناس به؟ لغة النقد لا بد أن تكون مائعة من روح الأدب وإليه، تُجسد المعنوي وتجعل الأفكار تنساب لحلاوتها وطلاوتها تستأنسها الذائقة، وتحل منها محل التصديق، بمنطق الإقناع البلاغي لا منطق التعسف الإجرائي الصافي وحده، وذلك ما نعني بالأسلوب، فمن استطاع منهم الكتابة النقدية بأسلوب عبد العزيز حمودة ــ وقد أجاد برفع بعض الغُبن عنها، بمراياه المقعرة والمحدبة رحمه الله ــ فهو حسبُه أنه منتسب للنقد الأدبي حقا، النقد الذي علميته الحقة هي في طبيعته الإنسانية.

(1) - أعتقد جازما مشفوعا بالشهادة العينية أن الإعلامي أو الصحفي الناقد في ظل النقص المعرفي يستمر في ممارسة نقدية مقبولة على العموم عندما يحجم المتخصص وينكفئ عنها لأسباب غير منطقية، وهذا دليل كاف أن الإعلامي عندنا في الجزائر أذكى من المتخصص في اللغة العربية وآدابها، بل هو من سيكون له شأن كبير لو تمكن من النجاح في الماجستير من غيره، وذلك راجع إلى نظام التوجيه البيداغوجي في هذه التخصصات، حيث يوجه إلى فرع اللغة العربية وآدابها أغلب الطلبة الذين علاماتهم تقارب 10.00 أما فرع الإعلام والاتصال فلا يلجه إلا من تحصل في البكالوريا على معدل 12.00 فما فوق. إذن لاريب في أن تقع مسؤولية استمرار **الإشكالية اللغوية في الجزائر** إلى المنظومة البيداغوجية؛ بتمكين الدولة جيل المفرنسين الذين ولجوا المدرسة الفرنسية مِن تدريس اللغة العربية في التربية والتعليم العالي وهم مفتقدين للتطبع عليها، وللمستوى التحريري الذي وقعت في الكتابة بالعربية العاكس للدرجة العلمية (يُنظر مثلا الصفحات الأولى لكتاب مبادئ في اللسانيات لخولة طالب الإبراهيمي). أما تلامذتهم من جيل الاستقلال وإلى أيامنا، وإن تطبعوا عليها فلا يُقبِلون على ما تفرضه اللغة على اللغوي من تبلور نشاط وإبداع، مثل دراسة اللغات الأجنبية، والتثقف بقدر المستطاع، لأن مستواهم محدود، وهو مستوى من حصل على البكالوريا بصعوبة بالغة (ينظر ملخصات البحوث باللغات الأجنبية في منصة ASJP الجزائرية)

* ـ وهنا نحن نتحدث عن الأجيال الجديدة التي تتلمذت على يد صناع تاريخ العربية وآدابها وأساتذتها الأوائل، ولا نتحدث بأي حال من الأحوال عن ركاكة أساليب بعينها والتي عُيّرت بها إبداعات الجزائر والمغرب العربية تاريخيا من قبل المصريين خاصة والمشارقة عامة، ككتابات جمعية العلماء المسلمين وعبد الحميد بن هدوقة ومحمد شكري.. فلم يدر أصحابها أن هناك طريقا أخرى أهدى وأقوم لحل المشكلة **وهو من لا يعرف الشيء يحاول أن يتعلمه،**

بعضا، والتي تمر تحت الطاولة وكأن شيئا لم يكن. وتحليلات الصحفي النقدية على هذه الطريقة تمتاز بدقة التعبير لا من جهة اختيار اللفظ المناسب للموقف/السياق المناسب ولا من حيث تحري السلامة النحوية، فأنا أشهد عموما أن الناقد الصحفي في الجزائر أفصح من نظيره الأكاديمي[*] فهو يعرف كيف يصيغ الكلِم بالسليقة لأن له علاقة وشيجة مع اللغة العربية، ومِن ذلك الحذر من إهمال قواعها النحوية والصرفية، لكنه لو سئل عن القاعدة النحوية ربما ارتبك قائلا "هكذا تعلمناها أول ما تعلمناها" ولعل تأثر الجزائر والمغرب بالمناهج البنيوية لم يأت تأثرا طوعيا بل فرضه واقع هزال العربية، وأدبها لذلك رأوا منذ البداية أنه يحسن بهم انتهاز فرصة لا تتكرر، وترجمة كل ما يتعلق بهذه المناهج؛ مادام أنها مناهج اعتمدت مبادئ اللّسانيات لتحليل تلك اللغة التواصلية "اللسانية"، فسيَسُر كثيرا لغتهم وأدبهم أن يكونا على تلك الصورة المختلفة ــ عمّا ألفناه في مواطن أصولها بمشرق الوطن العربي ــ صورة يوافق شنٌ فيه طبقة لسانيا، ثم مازال الواحد منا يراهم في مجاملاتهم الصالونية غير منتهون حتى ليظنّن أنها احدى ملحقات النقد الجديد ومبادئه الرئيسة.

أما الخصاصة التي قد تتجلى على الأكاديمي أيضا وفي مجال تخصصه (اللغة العربية) وللأسف فتحصيل حاصل؛ إذ أن الغيض أو القصور اتجاه العربية لا يخص فئة دون أخرى، ولا بلد دون آخر، فهو تاريخي ويشمل كامل منطقة المغرب العربي، غير أن هذا لا ينفي عنهم شيء من التبحر في المعارف النقدية المعمقة، أولا بحكم خبرة التخصص والتراكمية، وثانيا بحكم درجاتهم العلمية وما يقدمونه من بحوث/نقود منهجية في مجلاّتهم الجامعية المحكّمة تلك، وهم يتفرعون ضمنها إلى حداثيين وتقليديين أو بالمفهوم السياسي والإعلامي: 1 ـ أكاديميون علمانيون وماركسيون **2** ـ أكاديميون إسلاميون، أما الأكاديميون العلمانيون سواء روائيون أم نقاد فهم الأكثر غبنا اتجاه اللغة العربية، والأكاديميون الإسلاميون سواءً روائيون أم نقادا فهم أغنياؤها والعكس بالعكس عندما ننتقل من الشكل (التحكم في اللغة) إلى المضمون (الفكر الحداثي المتحرر من سجن التراث والمتفاعل مع الآخر) في هذا السياق يقول الناقد حميد عبد القادر: "**تلك الوصفات الجاهزة التي حاولت أن تصنع للجزائري هوية سياسية ثابتة، معزولة عن الواقع، فارغة ومجوفة، لذلك فالجزائري كان يتعامل مع اللغة بنوع من الحذر الذي يجعله يعيش هنا في الهناك، والهناك في هنا، وضع معقد لم يُمكِّن هذا الإنسان من الإحساس بذاته بشكل سليم، فهو في حالة فصام وشرخ رهيب، حالة من الغرابة و التعدد** "[(1)]

لذلك وُجد من المنتسبين إلى هذا الميدان/التخصص من طلاب وأساتذة حتمًا من يميلون إلى طرف دون آخر، أما أنا /كاتب هذا المقال فمن أشد الناس معارضة ــ وليس نقدا فقط ــ للمضامين الفكرية التي يحملها الإسلاميون إلى مؤسسات الدولة من المساجد، لكن عندما يتعلق الأمر بالتحكم في اللغة العربية بلاغة وفصاحة وإبداعا أدبيا وفكريا بها فإني أميل غير نادم إلى الإسلاميين، بل و أناصر أدبهم شعرا و نثرا في الجزائر و أرجِّحُه على الزّمرة العلمانية المبدعة بين قوسين، التي تبهدل العربية أكثر ما يبهدلها تلميذ أو مراهق في المشرق، " **فالمجتمع الجزائري، يُعد مجتمعا اثنيا متعددا و هجينا، لم يتمخض داخل تجربة اللغة العربية بشكل تاريخي سلس، بل كانت العربية في هذا التاريخ وضعا طارئا قلقًا** "[(2)]

وفيما يلي عينة تطبيقية في نقد النقد على هذه النظرية (أي فرق التحكم في اللغة العربية في ميدان التخصص (الأدب والنقد) بين الإسلاميين والعلمانيين الجزائريين من جهة، والأكاديميين والصحفيين من جهة

أو يبتعد عنه لا أن يجري وراء التشنج العصبي ووراء كيل الأباطيل والأكاذيب، وصولا إلى تبني المناهج البنيوية المبكر لرد الصاع صاعين، والنيل من كل ما هو عربي أصيل باسم علمية النقد ونقد النقد. ولكننا نتحدث عن إشكالية اللغة العربية بصفة عامة في هذين البلدين والتي لم تمح آثارها بعد إن على جميع المستويات حتى المستوى الأكاديمي، والذين يعرفون أهله جيدا ذلك، ولكنهم يهربون إلى الأمام تعصبا وتشنجا، بل ظلما لأهل هذا التخصص الحقيقيين.

[*] - والفصاحة والبلاغة إنما تعني عمق الفكر وخصوبته لكن كلٌ في لغته الأم، إذ لا تصح هذه القاعدة عندما يحاول الدكتور الفصيح في لغته الفرنسية التحول إلى اللغة العربية معتقدا أنّ مستواه الفكري العالي سيظل كذلك، بل سيفقده نزولا بمجرد المحاولة.

[(1)] - حميد عبد القادر، **https://www.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2017/12/6** ، موقع الضفة الثالثة.

[(2)] - المرجع نفسه.

أخرى) مأخوذ من عددين من مجلة "اللغة والأدب" الأكاديمية التي يصدرها قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة الجزائر2.

2. نقد النقد الأكاديمي لعينة مأخوذة من العدد 29 والعدد 15 من مجلة اللغة والأدب جامعة الجزائر 2

1.2 نقد النقد في جانبه اللغوي والتطبيقي:

لعلّ للانتماءات السياسية والمشارب الفكرية لهؤلاء الأساتذة الدور الأبرز في عدم موضوعية أبحاثهم ومنشوراتهم العلمية لكن طبيعة بحثنا الأكاديمي يفرض علينا النظر إلى الإشكالية من زاوية منهجية. فيتضح من ملاحظة عامة للجدول أدناه، وهو فهرس المجلة المذكورة أعلاه:

ـ عناوين بحوث العدد 29 من مجلة اللغة والأدب/ جامعة الجزائر 2:

ـ إشكالية تعليم النحو، وريدة أغادير

ـ تطور النظرية اللغوية من سوسير إلى جاكبسون، عماد غنوم

ـ أغلاط وارثي العربية من متعلميها في بريطانيا بين ازدواجية اللسان وثنائية اللغة، منتصر فايز الحمد

ـ المقاربة النصية في الكتاب المدرسي، رشيدة آيت عبد السلام

ـ مفاهيم لسانية عند الشيخ محمد لحضر حسين الجزائري ــ قراءة استكشافية لنحوه، سعاد معمر شاوش

ـ التزمين الخطابي في لهجات منطقة عسير ــ دراسة صوتية، فهد بن سعيد آل المثيب القحطاني

ـ المصطلح النقدي وإشكالية التفاعل مع النظرية الوافدة، نسيبة العرفي

ـ شعرية الانزياح في النص الصوفي، خناتة أم هاشم

ـ الصفة السردية في القصص القرآني ــ قصة نبي الله موسى أنموذجا ــ دراسة تحليلية، إسماعيل إبراهيم فاضل وهيثم أحمد حسين

ـ المرأة ودرة الغواص والبحر في الشعر العربي القديم، عمر برداوي

ـ آراء العقاد النقدية في الشعر، حورية عروي

ـ رهان السرد وإنتاج الدلالة في رواية " كولونيل زبربر"، عبد القادر فيدوح

ـ "ألف ليلة وليلة" في روايات وسيني لعرج، زهيرة بولفوس

ـ الرواية بين خطاب الفلسفة وتشكيل المتخيل ــ قراءة لتحولات الشخصية في رواية " عندما بكى نيتشة "، سليمة عذراوي

ـ بلاغة الأنساق والانسجام في قصص سعيد بوطاجين، ليلى مزواغ

ـ بشرية الآلهة الأسطورة، حورية بوشريخة

ـ جماليات الشعر النسوي الجزائري ــ البوقالة أنموذجا، نعيمة العقيرب

ـ استراتيجيا الحذف والإضافة بين صعوبة الترجمة وذاتية المترجم وأيديولوجيته، مريم بن لقدر

ـ أبرز المحطات التاريخية والأدبية في نشأة الأدب الإفريقي الحديث، مونة عبد الله بن شريف[1]

إذن من هؤلاء الباحثين العرب المساهمين في العدد بنحو الثلاثين بالمئة وهم:

الباحث عماد غنوم وهو من لبنان/طرابلس

والباحث منتصر فايز الحمد من قطر ومقاله طويل: 46 صفحة أخذ خمس العدد.

والباحث فهد بن سعيد المثيب آل القحطاني من السعودية.

والباحثان إسماعيل إبراهيم فاضل وهيثم أحمد حسين من العراق.

والقراءة الأولية له تجلي ما يلي:

ــ **أولا**: القصور التاريخي المزمن اتجاه اللغة العربية، في قول الباحثة حبيبة العلوي على سبيل المثال لا الحصر ما يعضد طرحنا: "**واضح أن هذا النص الجديد لا يخلق فقط أدبية جديدة وإنما صناعة جديدة، تعوز إلى تكامل بين اختصاصات.."**[2] هي تقصد قولها: "صناعة جديدة تفتقر أو تحتاج.." لكنها عوض ذلك افتعالا للتمكّن وظّفت مفردة "تعوز" في غير سياقها فظهر بشكل عفوي عوزها المعجمي وقلة مطالعتها ناهيك عن استعمالها الفاصلة في غير محلها. وفي الحقيقة هذا التعبير لا يفسر شعرية الباحثة بقدر ما يعكس أيديولوجيا الهروب إلى الأمام، لأنهم أدركوا مسبقا أن مقالاتهم ستُجاز، فالمجاملات والإطراءات ستُغيِّب النقد النزيه الموضوعي المتميز منهجا وقدرات لغوية، ستغيبه (وفي عرين النقد) باسم الموضوعية العلمية تكيل ــ مع سلسلة طويلة من زملائها ــ بمكيالين، إذن فما بالكم إذن عندما يحاولون طلبتكم استعراض قدراتهم التعبيرية تقولون لهم تحروا الدقة العلمية في اختيار الألفاظ! ليت شعري، تنهى عن منكر وتأتي بمثله لما كانت في خصاصة من أمرها اتجاه اللغة، خصاصة لا تفسرها غير نظرية الاكتساب تبع نعوم تشومسكي، لكنه الاحتيال والمكر المتذرّع بالموضوعية! وهذا إن أثبت شيء أثبت فعلا على أن اللغة ممارسة ورصيد لساني مجتمعي لكن مع وجود فوارق أو مستويات أداء اللغة العربية في الجزائر بحسب السياق، مؤسساتيا أو اجتماعيا، وهي المقدرة الفردية على أداء الخطاب/الكلام[3]، وقد ذكّرني قولها بمشكلة العَي التي يعاني منها أغلب الجزائريين حين التكلم باللغة الفصحى (والعي: العجز عن التعبير بالكلام عما تريد وهو نوع بارز في قصورهم) فقد وجدنا أن عالما اقتصاديا جزائريا كبيرا يقول على المباشر ــ وهو معذور درس في فرنسا ــ "**ترعرع** الاقتصاد الوطني في سنوات الاستقلال.. " طبعا الباحثة لو أنها سُئلت عن خطأها ستقول أن ذلك من محض التعبير المجازي لتتملّص، ليس هذا فقط بل ستنفي كلية وجود مشكل للأساتذة مع اللغة العربية عكس ما كان حاصلا في سنوات الثمانينيات، لأنها تتلمذت على يد جيل من الأساتذة جديد متعصبين لقبيلتهم الكبيرة تعصب الجاهلية الأولى، بغض النظر إذا كانت على صواب أم لا.

في كلمة العدد 29 هذا نجد المحرر يتساءل في قوله: " **يتساءل الكثيرون من المتتبعين عن أسباب تراجع الشعر في المشهد الثقافي الغربي وعن أسباب اكتساح الرواية صدارة هذا المنجز الأدبي. هل هذه الظاهرة ذات صبغة بنيوية أم أن الخارجي هو من يتحكم في زمامها ومراميها؟** "[4] ونحن نتساءل بدورنا أي المتتبعين

---

[1] - ينظر مجلة اللغة والأدب العدد 29، من فهرس العدد.

[2] ـ حبيبة العلوي، **مدخل إلى المقاربة السيميائية للنص الرقمي**، ص 248.

[3] ـ من المفيد جدا التذكير أن الدراسات الأسلوبية الحديثة مع ليو سبيرز وميشال ريفاتير ألغت النصوص الحاملة للقصور النحوي وحتى المعجمي من اهتماماتها، لذلكم جدير بالذكر أن أجدى المناهج في دراسة مثل هذه النصوص التي تعاني شركا نحويا ومعجميا هي المناهج السياقية، كالمنهج التاريخي الذي يسلط الضوء على تاريخ المجتمع مع اللغة العربية أو المناهج المعيارية كالبلاغة الأسلوبية والمعيارية اللغوية وهلم جر، مع الاستعانة بالمناهج اللسانية الأحدث التي تربط اللغة بالخطاب والتداول، كالقواعد التوليدية التحويلية لأنها تهتم بقدرة الفرد على أداء الكلام، وعلى توليد الجمل أو ما يعرف بالكفاءة الغريزية؛ و الترعرع على اللسان العربي هو ما يمكّن الفرد من تجاوز الرصيد المعجمي المحدود من اللغة ويتجاوز به الضعف الاشتقاقي ثم التركيبي حين لا يجد اللفظ المناسب للتعبير عن فكره، أما القصور النحوي والصرف فيمكن تجاوزه بتعلم قواعده.

[4] ـ مجلة اللغة والأدب، العدد 29، ص 11.

يقصد المحرر؟ هناك سماسرة النشر منهم من لا يعرف القراءة والكتابة أصلا لكنهم يدخلون بحسب هذا التعبير ضمن متتبعي الحركة الشعرية. فقد ترك المحرّر بصياغته الفضفاضة الحبل على الغارب نتيجة عدم القدرة على الصياغة المضبوطة لأفكاره فاتحا الباب لقراءتين مختلفتين: الأولى هو أن الظاهرة المقصودة هي **اكتساح الرواية للمنجز الأدبي،** ويعود الأمر حسبه لبنية النص الروائي وللعوامل الخارجية المنتجة للنص الروائي، كالمؤلف والسياق الاجتماعي. القراءة الثانية هو أن الظاهرة المقصودة هي **تراجع الشعر**، لأن بنية الرواية تختلف عن بنية القصيدة الشعرية وإن كانت العوامل الخارجية المؤثرة في إنتاج النص الشعري والروائي تبقى نفسها.

ــ **ثانيا:** نتيجة عدم استيفاء شرط التحكم الجيد في اللغة لا يألو المتخصص وما بالك بالدارس العادي جهدا لمحاولة تطويعها، بل سيُغض الطرف عن التلاعب بالمصطلحات بالرغم من أن بعضها ــ الغير معرّبة والغير مترجمة ــ واضحة المعاني وضوح الشمس في رابعة النهار. كقول الباحثة نفسها: **المنهاج**[1] عوض المناهج، هناك خلط بين مفهوم المنهج: خطة البحث العلمي وجمعه مناهج والمنهاج: خطة عرض البرنامج (التعليمي مثلا). وشتّان ما تعنيه الكلمة وما يصبو إليه بحث الباحثة. لهذه النتيجة علاقة بالجبلة على اللغة، التي تجعلها تعيد قراءة تعريف ابن منظور للمنهج ألف مرة، ولهذا ما فتئ نقاد المشرق العربي عامة يصفون النقد المغاربي بصفة عامة بالغموض والاغترابية وفي نفوسهم شك بأصل المشكلة[2]

ــ **ثالثا:** أحصينا في هذا العدد من مجلة اللغة والأدب ما تصل نسبته إلى الستين بالمئة بحوث نظرية عبارة عن نسخ حرفي للدرس النظري (أنظر في مقالات العدد أعلاه)، مساكين هم الروائيين والشعراء الذين يدرّسوا في نفس القسم، كأمين زاوي، ومحمد ساري، وفاتح علاق وواسيني الأعرج، كل نصف عام يصدرون عملاً يسارع النقاد الأكاديميين المغربيين إلى دراسته باستخدام أحدث المناهج النقدية، خارجين بدراسات أقل ما يقال عنها أنها تولّد المعاني والمضامين الفكرية من خلال استقصاء القوالب الفنية والخطابية المستجدة وتستجليها بمعونة المنهج وليس العكس، متوصلين إلى نتائج مبهرة تخص راهن الرواية والشّعر الجزائريين بخاصة ما تعلق بالتحوّل في مضامين خطاباتهما ودلالاتهما الفكرية في العشريتين الأخيرتين. بينما نظرائهم الجزائريون ينتهجون سياسة ملء الفراغ بنسخ الدرس النظري والإفاضة فيه، سواء إما بالتعرّض لمناطق الظّل المُستعصية على فهم الطلبة في الوحدة الأدبية الواحدة، كنظرية الأدب أو تحليل الخطاب أو الأدب المقارن، وإما عدم القدرة على تجاوز الدوران في الحلقة المفرغة، بالاستمرار في التنظير للمناهج الكبرى التي يعتريها غموض وصعوبة تمرس كالأسلوبية، والسيميائية، والسوسيو ـ نقد، وسوسيولوجيا الأدب وكأنها مناهج جديدة وقدرها في أن تبقى جديدة! بينما هي في الحقيقة أصبحت قديمة في بعض الدول كمصر والمغرب نتيجة للقابلية للتطبيق، أما المناهج الأحدث كالنقد الثقافي ونظرية القراءة وعلم التأويل ونيو كولونيالية، وحتى النظرية الحوارية، ونظرية التناص، ونظرية التعدد اللغوي (ولأن دراستنا ستطلبها أسفله فإن باختين قصد بها اللغة الاجتماعية بمختلف صيغها التركيبية والنحوية التي تشي عن الخلفيات السوسيو تاريخية، والطبقية للأفراد[3]) أصبحت من مطامح الباحثين الجزائريين بخاصة الذين يحضّرون دكتوراتهم في نظام LMD، لكن بغير تقيد صارم بالمجال المعرفي لهذه المناهج، حيث يخلطون بين المناهج ناهيك عن تكرارهم المادة الأدبية المعنية بالنقد، أعني الرواية التي تكون هي الصالحة بعينها للمنهج دون غيرها (السرقات)، كالتي تخص الديار المغربية والديار المصرية والتي حللت نقديا سابقا تكرارا ومرارا عندهم كروايات معينة لنجيب محفوظ ولمحمد برادة. من خلالها يتم تكرار المفاهيم والمصطلحات الغامضة دون

(1) - وريدة أغادير، **إشكالية تعليم النحو**، ص20.

(2) ـ أصل يعود إلى عدم الجبلة على اللغة في سياق جزائري معروف، سياق تغيب فيه عن الأطفال ألفاظ عربية كثيرة، لا يصطدم بها إلا وهو في العشرين من العمر، إذ ليس للمنهاج غاية الوصول إلى نتيجة لكن هو طريقة عرض الموضوع فقط، فالبرنامج الدراسي programme المعد للتعليم الابتدائي منهاجا وليس منهجا، كما يجب التحرز من قول المنهجية بدل المنهاج ونحن بإزاء البرنامج، لأن ذلك من شأنه الإحالة إلى المنهج، عدم الضبط الدقيق للمصطلح غالبا ما يؤدي إلى الخلط في المفاهيم والوقوع في الأغلاط.

(3) ـ عمرو عيلان، **الأيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي دراسة سوسيو بنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة**، ص62.

وعي لدى طلبة الماستر، وكل ذلك إنما ينم عن النشر لأجل النشر، وسد الفراغ، ولأجل الشهادة الورقية لا أكثر ولا أقل.

ولا ينبغي أن يفوتنا هنا الإشارة أن إشكالية النقد الأدبي الأكاديمي في الجزائر من نتائج التعصب للمناهج البنيوية (تتطلب دراسات) بدءً بعدم ضبط مقصود لموضوع ذلك النقد ألا وهو الأدب بالتعريف الشامل المانع وصولا إلى إشكالية المجتمع التاريخية مع اللغة العربية، وهي إشكالية مغطاة عن الأعين بحذق كبير. وقد وجدتني كلما أقبلت على مؤلفات رواد النقد البنيوي المغربيين ترجمةً وتنظيرا: لحمداني ومفتاح والبحراوي وغيرهم العديدة والمؤلفة قبل 1999 إلاّ وجدت ثغرة في الفقرة الواحدة من ثغرات عدة تقارب كلها خصوبة الإشكالية الأم، وهي قضية اللفظ والمعنى فتعد لتوّها بمقالة أو مؤلف جديدين، خذ مثلا أجدد الابتكارات التي لا تخرج عن سياق الجدل المكرس للنزعة البنيوية، وهو المنهج التداولي أو **نظرية فعل الكلام**، يعود ليفجر إشكاليات مقاربة للإشكالية الأم، والتي يستحيل أن تشيد نظريتها على الجدل المادي فحسب، وهذا الإقرار بأن للكلام فعل لتجاوز أنّ له أولا ما ينجر عنه الفعل هو حلقة أخرى من التيه، حلقة محاولات الإمساك بالمعنى أو ما يدل عليه ماديا/علميا!

ليس بالعسير تلمّس مكر واحتيال متذرع بالموضوعية العلمية كذاك الخاص بإلزام طلبة **خُزاعة** بالتطبيق الحرفي للمنهج أو إلزامهم بمقولة المنهج ثم المنهج ثم المنهج التي علموها لنا ولهم في حالات ما، غالبا لا يعرف كنهَ غيرهم، حين تُبلع إزاء طلبة **غُزيّة** لتحلّ محلّها مقولة الشكر ثم الشكر ثم الشكر ثم تعود تُجتر في سياقات أخرى وهكذا دواليك، كأننا عدنا للجاهلية الأولى كلٌ يدافع على قبيلته بعصبية ولا يقدم الأنموذج لطلبته إلا ملتبسا بهذه القاعدة، خذ مثلا مقالا نشره الأستاذ شنوفي محمد العام 1994 في العدد 5 من مجلة اللغة والأدب يخبط فيه خبط عشواء دون تقيد بأي منهج واضح، خلطة من التحاليل تأخذ من كل منهج فقرة أو اثنين بل يكاد يحلل قصة الصور السلوكية لأبو العيد دودو[1] كتحليل طلاب الثانوية العامة، بحث لا يتعدى الست صفحات كان الأجدى به أن ينشره في يومية الشعب أفضل ـ وكان أبو العيد آنذاك من القائمين على مجلة اللغة والأدب لذا تحس وكأنه بصدد تملّقه ـ تارة يتحدث فيه عن البطل وتارة يتحدث عن الشخصية المحورية وتارة أخرى عن الراوي (المنهج السردي البنيوي) ثم ينتقل للتعليق على سخريتهم متعديا إلى المنهج الاجتماعي، حين يقول أنها سخرية مقصودة تعكس القيم الاجتماعية والأخلاقية التي ينقد من خلالها الدودو مظاهر سلبية ميزت المجتمع الجزائري (تعليق انطباعي نفسي) ولم يوفِ فن السخرية (كأسلوب)حقه من التعريف الوافي الشافي، فكان مقال إطراء ولباقة صالونيه لمصلحة السادة، الأستاذ الذي درس بألمانيا باللغات الأجنبية كلها، لكن لغته الأصل وأسلوبه لا يختلف عن لغة وأسلوب المهاجرين الأمازيغ في أوروبا.

وهناك من النقاد من تفرغوا بل تخصصوا في نقدهم الأكاديمي في ترجمة مقالات بعينها تتبع التخصص كعبد القادر بوزيدة وخولة طالب الإبراهيمي، هذان الأستاذان بالتحديد درست عندهما وكثيرا ما شدَّ انتباهي صعوبة مطواعية لسانهما للعربية الفصحى للسلاسة لأنهما من مواليد فترة الاستعمار، قطعا يكونا درسا أول ما درسا الفرنسية لأنهما نشأ بالعاصمة، لا يعتقد بتاتا أنهما ولج كُتابا نائيا قبل دخول المدرسة الفرنسية وكما نعلم أن اللغة تُطبع في ذهن الطفل كما تُطبع الحروف على ورقة بيضاء، وإذا ما وجدت عربيتهما المكان قد شُغل بعدما انطبعت في ذهنيهما الفرنسية خرجا إلينا معها بتلكم الحال كما تقول به نظرية جهاز اكتساب اللغة لتشومشكي language aquisition device theory ، التي ترى أنَّ " **الطفل يمتلك بالفطرة تنظيماً ثقافياً يمكن تسميته بالحالة الأساسية للعقل، يمكنه من اكتساب لغة قومه من خلال تعرض شفاف لما يسمعه ممن حوله**"[2] وفي مقال بوزيدة ما يؤكد طرحي، إذ يقول في بحث حول فلسفة اللغة و المبدأ الحواري عند باختين عدد 15 من مجلة "اللغة و الأدب" : " **.. هي قوانين محايثة وخصوصية.**

[1] ـ محمد شنوفي، **فن السخرية في الصور السلوكية عند أبو العيد دودو**، ص 19ـ 25.

[2] ـ زكريا ميشال، **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)**، ص54.

وهي، على عكس القوانين الأيديولوجية (المرتبطة بالعمليات المعرفية و الإبداع الفني..)، لا ترتدّ إلى الوعي الفردي."[1] كلمة ترتد هنا تقف عائق أمام فهم الطالب لمعنى المحايثة النصية، فإذا كان الباحث يقصد الارتداد فحري به القول ترتد من الوعي الفردي، الوعي عملية ذهنية نفسية سابقة يترجم لغةً وليس العكس وهذا الفهم يدل على أن الباحث ــ بالرغم من كونه مترجما ــ إما أنه نسخ ترجمات عربية وما أكثرها لهذا الكتاب سنوات الثمانينيات قبل تبلور نظرية القواعد التحويلية التوليدية التي تقول أن بنية اللغة بنية عميقة/ ذهنية وبنية سطحية/ شكلية، وإما استسهالا، حين لم يكلّف نفسه البحث عن أصل كلمة ترد وترتد والفرق بينهما لأن الرّد غير الارتداد. ثم إن الباحث بوزيدة في رصيده لحظة إنجاز هذا المقال ما يفوق أربعين سنة تمرّس أكاديمي لكنه لم يتخلص من تأثير عدم الجبلة على اللغة ومن يطّلع على هذا الرصيد عبر مجلة اللغة والأدب يجده ينقسم إلى قسمين: المرحلة الأولى من الثمانينيات إلى نهاية التسعينيات أين كانت مقالاته جد هزيلة أسلوبا ومستوى منهجي وفكري تصلح مقالات للصحف اليومية لا بحوثا أكاديمية، من أمثلة ذلك مقال له بها بعنوان "**طه حسين ومنهج الشك الديكارتي والمسألة الهوميرية، دراسة مقارنة"** ومرحلة تالية تحسّن فيها أسلوبه التعبيري والتحليلي ولو أنه بقي منتقيا للمنهج مجتزئا التطبيق دون الإقرار بذلك مسبقا في المقدمة، ويعود سبب ذلك التحسن إلى الاستفادة من الوورد والأنترنت في إنجاز تلك البحوث بعد 2002.

لعلّه لا يوجد أفضل من الأستاذ مصطفى حركات لتوضيح علاقة النشأة المضطربة مع اللغة العربية، فهذا الأخير أستاذ التعليم العالي في قسم اللغة العربية جامعة الجزائر2، ولكنه فصيح اللسان الفرنسي وركيك اللسان العربي، وجد صحفي استضافه في الإذاعة الثقافية إحراجا كبيرا في محاورته، بل إنه يكاد يتأتئ، ما إن ينطلق لسانه بكلمة إلا وعقد لسانه فتلجلج، لذلك يحرر بحوثه في ذات المجلة بالفرنسية، والسؤال المحير كيف لم تحُول هذه العجمة بينه وبين الشهادات العليا؟ لعل الإجابة تكمن في أنه من جيل زمن الغفلة. فاكتساب اللغة language Acquisition غير الاكتساب اللغوي linguistic Acquisition "**وهو النشاط والمقدرة على تعلم اللغة عند الطفل، باعتبار أن هذا النشاط عملية فطرية يقوم بها نحو التجربة العشوائية للكلام، سواء أكان الكلام موجها إليه أو منطوقا في حضوره. وهذا النشاط يعتمد على مكون معين موجود في العقل أو المخ على نحو وراثي، وعلى هذا الأساس فإن اكتساب اللغة الأولى الذي ينجزه الطفل دون ملاحظة غالبا ودون تعليم منظم يتميز بشكل محدد عن تعلم اللغة الثانية، وباعتباره يقوم على التعرف على أنماط الجمل خلال مع تغييرات المفردات والفئات القواعدية.."** أما الاكتساب اللغوي " **عمليات نقل الخبرات للأخرين وتلقيها، سواء بواسطة القراءة أو التعلم أو التدريب النطقي أو الكتابي بقصد الوصول إلى مرحلة أفضل من المرحلة السابقة التي كان عليها الفرد.."**[2]

أما النموذج الآخر عن هذه نظرية اللغوية التي تصدق على أغلب نقاد المغرب العربي ـ للأسف ـ وهو عبد الملك مرتاض الذي نزل أستاذا في جامعة الجزائر 2 سنوات التسعينيات، يقول أن فرنسية الناقد الشهير تزفتان تودوروف بها عجمة[3] لأن أصله بلغاري وقد صحح له مرتاض لغته وقال له قل Méta - métacritique ولا تقل critique de la critique مع العلم أن اللغة الفرنسية بالنسبة لتودوروف لغة ثانوية ولغة مرتاض الفرنسية أيضا من المفروض أنها كذلك ثانوية، لأن لغته الأصلية الأساسية هي العربية، لكنه عندما تجاوز وضعه إلى التصحيح للأوروبيين فإن هذا يعني أن لغته الأساس هي الفرنسية وليست العربية، والحقيقة أن التحكم إلى هذه الدرجة لزمرة نقاد المغرب العربي المخضرمين باللغة الفرنسية (وحتى الجيل الجديدة لكن بنسبة أقل) هو وبال على مستوى اللغة العربية في مدونتهم الأدبية والنقدية على السواء مقارنة بالنقاد العرب المشارقة؛ الذين عندما يأخذون اللغة الثانية لا يحاولون أخذها بالفطرة وإنما يأخذونها بالتعلّم، وهذا هو الوضع الطبيعي الذي يجعل دائما من العربية هي الأساس واللغة الأجنبية

---

(1) ـ عبد القادر بوزيدة، **فلسفة اللغة والمبدأ الحواري عند باختين**، ص61.

(2) ـ سمير حجازي، **معجم المصطلحات الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والأدبية**، ص9ـ10.

(3) ـ ينظر عبد الملك مرتاض، **في نظرية النقد**، ص223.

مسخّرة لكي تخدم العربية، وهذه الآية انقلبت عند مرتاض وزمرته بسبب اكتسابهم الغريزي في سنوات الطفولة الأولى للغة الفرنسية بدل العربية (العربية فيما بعد يحاول من أحس بالنقص فيها أن يتقنها كما أتقن الفرنسية لكن هيهات حتى لو استنجد بحفظ كل المعلقات وكل القرآن، فاللغة تنقش فقط في مرحلة الصغر في لوحة عبارة عن جهاز نفسي ذهني غريزي معد مسبقا في الإنسان، ومستحيل أن يجمع الإنسان بين لغتين في وقت واحد؛ دائما لابد من أن تكون للغة الأكثر تواصلا هي من تنغرس وتصبح أساسية والأقل تواصلا هي الثانوية) وهذا ما يفسر عدم التحكم في العربية نطقا وأسلوبا عموما عندنا بالجزائر مقارنة بعرب المشرق، فملكة من تَطبَّع أو تَفطَّر على اللغة العربية حقيقية غير مفتعلة تقود صاحبها إلى الفصاحة والبلاغة، ومن لم يتطبع عليها تعود بصاحبها إلى مسخ اللسان العربي ــ زلات النطق والتهجية والعُجمة ــ وإلى هزال الأسلوب والأستاذين حركات ومرتاض من هذا النوع، ويبقى نجاحهما جزئي كونهما مكتسبين للمعارف اللغوية والأدبية لكن غير مكتسبين للجهاز أو الأداة التي تجعلهما لا يصححان أبدا لشكري عياد أو لجابر عصفور لغتهما لكنهما يصححان لتودوروف لغته.

وما انتهاج مرتاض منهج النقاد المغاربة حسن بحراوي، وحميد لحمداني، وبرادة ،ويقطين، وغيرهم، في التمكين الأكاديمي لميتا لغة خاصة بالنقد الأدبي المغاربي يعود في جوهره إلى معاناة المغرب العربي في هذا الإطار، ولعل محاولات المضي في هذه الخصوصية لا تؤدي إلا لمزيد من تفاقم الإشكاليات، كغموض مدونتنا النقدية بسبب ضعف الترجمة؛ الترجمة التي تشترط اللغة الأصلية كأساس، واللغة الأجنبية كلغة ثانوية لا العكس، فعلى مرتاض إذن أن يترجم من العربية إلى الفرنسية من منطلق أنه غير مطلوب من المترجم التفقه في لغته الأجنبية إلى درجة التي تضعِف لغته الأصلية، لأنه حينئذ سيفقد الأسلوب ومن فقد الأسلوب لا يقدر الإخلاص لمتطلبات الترجمة من توصيل دقيق للمعنى في ثوب من جسد هو جسد اللغة والثقافة الأصيلتين. والحقيقة أن دور الدّربة على اللغة غير مستقلة عن المجتمع، فالمجتمع **بثقافته الفرانكفونية** واللهجية المهجّنة بمختلف اللغات تحافظ على عُجمة الجزائريين في جميع مستوياتهم عاديين أو معلمين أو حتى المثقفين و الأكاديميين، فمرتاض لا يتكلم بالفصحى في هذا المجتمع طيلة عمره الذي تجاوز الثمانين (أطال الله في عمره) إلا عمرا قصيرا مقارنة مع ما قضاه مع اللهجة المهجنة ومع الفرنسية مع الأصدقاء ومع وسائل الإعلام المفرنسة، التي يستريح إزائها ولا يستسيغ من أفلامها إلا ذلك الفيلم الفرنسي، زد إليها المؤسسات الجزائرية التي يقضي فيها حوائجه من بنوك ومطارات، التي يافطاتها وإعلاناتها السمعية كلها مفرنسة. فكيف سيصحح لكمال أبو ديب بل سيصحح بداهة لتودوروف.

وهناك منهم من يسعى سعيه لإلباس العمل الأدبي معطف المنهج ومُقاسا عليه مَقاسا يحيّر الألباب. فالأستاذ الناقد عبد القادر بوزيدة في مقال له بعنوان "فلسفة اللغة والمبدأ الحواري عند باختين "[(1)] بالعدد 15 من مجلة "اللغة والأدب"، يخصص حوالي 11 صفحة لجرد تفاصيل علاقة النظرية الحوارية/ تعدد الأصوات لباختين بالثنائية اللسانية الديسوسيرية لغة/كلام مستفيضا في عرض المحطات التاريخية المحيطة بولادة النظرية ونشأتها، ويُشكّل نهايات حروف كلمات المقال مخافة أن يُخطئ في الإلقاء لأن المقال مُعد ليلقى مداخلة في ندوة، ثم تنشر جميع المداخلات في عدد خاص بالمجلة المذكورة، ومع ذلك فإن أهل المغرب العربي كُلفاء يهمهم أمر اللغة العربية جدا؛ فعوض تسكين نهايات الكلمات يسعون لإظهار قدراتهم بتحريك النهايات فيجانبون في أحايين كثيرة الصواب النطقي والنحوي معا.

في آخر البحث يعرّج على التطبيق فيكتفي من رواية ابن هدوڤة التي تعد 102 صفحة بفقرة واحدة وهي التي وجد فيها ما ساق وأفاض حول الحوارية واللسانيات، بين سنكرونية اللغة ونزعتها ودياكرونية الكلام ونزعته ومنشأ حوارية باختين، إذ يقول: " **ولا بد قبل إنهاء هذه المداخلة من تقديم بعض الأمثلة التي تجسد الحوارية في الخطاب. وقد كنت أنوي الاشتغال على بعض النصوص الروائية الطويلة مثل روايات الطاهر وطار "الحوات والقصر" و"الزلزال" الخ.. وتحليل التعدد الصوتي واللغوي فيها وتسخير**

---

(1) ـ عبد القادر بوزيدة، **فلسفة اللغة والمبدأ الحواري عند باختين**، ص59.

الكاتب أحيانا كثيرة لغة الآخرين لخدمة نوياه الخاصة. لكن ضيق المقام جعلني أكتفي ببعض النصوص القصيرة مثل هذا النص المأخوذ من رواية ريح الجنوب لابن هدوقة "[1]، فهو وجد في الأخير، لا شك أنه بحث أخيرا ليجد ما يطابق المنهج الذي لا مانع من أن يختم به الإحدى عشر صفحة من الشروحات النظرية. أليس الأحرى على الناقد قراءة الرواية أولا ثم تحديد المنهج وليس العكس؟[2] ثم أن الطلبة و الباحثين يكونون في أمس الحاجة في حال النظريات المستعصية كنظرية تعدد الأصوات إلى التطبيق لا إلى إعادة الدروس النظرية، فإذا كان الباحثون يخلطون بين نظرية تعدد الأصوات (كمجال بحث يخص محتوى بنيوية السرد ـ السوسيولوجي ـ أو البنيوية التكوينية وتموقعها الوسط بين الداخل النصي والخارج النصي) وبين التشكيلات الأسلوبية أو تعدد الأساليب (التي تنهض بها الشخصية الحكائية التي تبقى دراسة محايثة لا علاقة لها بما يقع خارج النص) فما بالك بالطلبة.

ولعلّ السؤال المحيّر هو لماذا لا يضبط أساتذة قسم اللغة العربية جامعة الجزائر 2 أنفسهم؟ ما داموا يتحججون بضيق الوقت؛ قسم يعهد له التدريس فقط، وقسم الإشراف فقط، والمسيِّر لا يكلف بغير التسيير حتى تتفرغ كل فئة للكتابة. تقسيم العمل من شأنه الحفاظ على الروح العلمية للأستاذ الباحث والناقد الأكاديمي على السواء إلى أن سارت وعلى نحو مقلق بين نقادنا الأكاديميين المخضرمين الذين يُطمع في زادهم عادة نقدية سيّئة أن صح التعبير، هي قراءة القراءات النقدية، حجتهم ضيق الوقت والانشغال، لكن في الواقع ضعف واستكانة لتجنب عناء المشقة، ما يجعل الجيل الجديد طلبة كانوا أو أساتذة يحذون حذوهم، حيث ألفينا جابر عصفور وزمرته في مصر الأدب والثقافة يقرؤون التراث البلاغي والنقدي العربي، وزمرة نصر أبو زيد يقرؤون التراث الديني بينما يكتفي باحثونا الجزائريون بقراءة تلك القراءات! فمن جهة اللغة العربية، أدبها بنقدها، هي تشكل هوية وهي متحركة أنطولوجيا صنو الأشياء المادية والمعنوية فمن غير المعقول أن لا يُلم المنتسب إليها بتطور تاريخ تلك الهوية، أي لا يستقي من التراث البلاغي والنقدي الموجود في العربية كي يهتدي إلى مآل النقد الأدبي الراهن، وعصر النهضة العربية زاخر بالنقد والأدب الرفيع الذي يهمله النقد المغاربي المعاصر عنوة (بذريعة التقليدية) وهو يدخل في تلك الهوية، ولقد وصل بنا شخصيا إلى التماس فضائح أساتذة تخصص مناهج بنيوية والدراسات الثقافية في قسم اللغة العربية في جامعة الجزائر 2 بحيث يستطيع تلامذة الكتاتيب بسهولة أن يفضحوهم نحويا ومعجميا، ولعلّ ذلك ليس راجع إلى عدم توفر شروط اكتساب اللغة في الصغر فحسب بل يرجع أيضا إلى نهجهم ثقافة ممالأة بعضهم بعضا، والمراوغة والاحتيال قصد نيل الشهادة الورقية؛ فإذا كان سقوط زمرة الباحث المصري الفذ نصر حامد أبو زيد في فخ المنهج الاجتماعي المعروف بالجدلية المادية غير مقصود، كونهم أحسوا شخصيا وبتجربة مع اللغة ما للسياق الثقافي اللغوي من تأثير في تقبُّل معاني وأفكار بل في الاحتفاظ بطقوس وأنثروبولوجيا معينة أوصلهم التعمّق فيه إلى الفكر المادي الجدلي دون قصد، أما نقادنا الجزائريين في جامعة الجزائر فقفزوا إلى ذلك المنهج مسلحين بالجاهزية الحزبية وليعملوا معاول الشر والفساد ويدعونه نقدا أدبيا جزائريا معاصرا! لأن تجاربهم وحسهم اللغوي مفقود نتيجة افتقاد الجبلة على اللغة العربية وهم في ذلك معتقدين أنهم في مستوى زمرة نصر حامد أبو زيد وجابر عصفور! هذا من جهة: عدم الجبلة على اللغة العربية، وعدم التحرك مع هويتها ستُحيلهم كأنهم دارسون اجتماعيون أو فلسفيون لقضايا اللغة لا لجماليات تلقيها وتلقي النصوص النقدية والأدبية! أي هناك انحراف عن التخصص لانحراف عن جوهر هذا التخصص، وهو محك الجبلة على اللغة التي تحيل إلى البلاغة، وهاته الأخيرة هي المحك لأي مخيلة إبداعية بل أجزم أنها هي الذكاء المعرفي النقدي في هذا التخصص، ومن جهة أخرى هناك انحراف مكرسا بالواقع، واقع سلطة المعرفة الما بعد حداثية؛ تجد صبي وقد تدكتر بالتعود الثقافي على التملق، المراوغة والاحتيال والفوضى يدخل كالأبله في المطاولة والغرور وهو غير آبه لمخاطر فعله، لأنّ هناك خلفه سلطة قوة معرفة تدعمه، كما أن هناك ما يقال حول النزاهة والروح العلمية في الإشراف على مذكرات التخرج

(1) ـ المرجع نفسه، ص71.

(2) ـ ينظر حميد لحمداني، **بنية النص السردي من منظور أدبي**، ص 127.

عندنا، غير أنّ أسوأها على الإطلاق هي تلك التي تجمع بين مشرفة تتسلح كذلك بأنوثتها، نعم بأنوثتها، في موقع لا يجوز فيه التسلح بغير سلاح الإلمام بالمادة المعرفية أمام طالب باحث همُه طموح البحث وفق مقتضيات الروح العلمية، أي وفق المناقشة والمجادلة لا غير، لكن يحدث وأن تُعرّي تلك المناقشات والمجادلات الموضوعية دون قصد مستوى المشرفة المعرفي ونزاهتها فتتهمه بعدم للباقة والأدب! وهذه قمة تعاسة الروح العلمية"*

ــ **رابعا:** فقر نوعي في تخصصي الدراسات التراثية والدراسات/ القراءات النقدية في صفوف الأكاديميين الجزائريين للأعمال الأدبية في جانبها الأسلوبي ما بعد الحداثي، أي جماليات تلقي النص البلاغي والبياني وليس اللساني التداولي، فهُم على كثرتهم، المجلاّت الأكاديمية المحكمة التي لا يتعدى عدد طبعاتها عدد معاهد أقسام اللغة العربية في ربوع الوطن مضروبة في العدد خمسة، أي تطبع وتوصّل إلى الأستاذين الذين يدرسان التخصص زائد الثلاث طلبة المعنيين بالبحث في التخصص على أكثر تقدير، أو ربما لا تطبع أصلا (تبقى طبعة إلكترونية). ويحز بالنفس بعد ستين سنة استقلالا لم تقدر على ملء المساحة الشاغرة بأكاديمييها فاستعانت ولجأت إلى النقاد والبحاثين العرب، والدليل هنا هو العملية العكسية الضامرة جدا ما عدا في بعض المجلات المغربية ومجلة الجيل اللبنانية، وهي تفعل ذلك كما فعلت المنظومة التربية والجامعية خلال سنوات الأولى للاستقلال، وقد تصل نسبت هؤلاء الباحثين العرب المشاركين إلى ثلاثين بالمئة أو أكثر حسب الحاجة لبعض الدراسات بخاصة في القضايا والموضوعات اللغوية والمنهجية المستعصية، طبعا حجتهم في ذلك التفاعل العربي العربي، وتبادل الخبرات والقضايا والرؤى النقدية المستجدة. وفي بحوث العدد 29 ما يثبت قولنا.

2.2 نقد النقد في جانبه الأيديولوجي:

يقول عبد القادر بوزيدة في مقاله "فلسفة اللغة والمبدأ الحواري عند باختين" في العدد 15 من مجلة اللغة والأدب: "**ولابد قبل إنهاء هذه المداخلة من تقديم بعض الأمثلة التي تجسد الحوارية في الخطاب، وقد كنت أنوي الاشتغال على بعض النصوص الروائية الطويلة مثل روايات الطاهر وطار الحوات والقصر والزلزال الخ.. وتحليل التعدد الصوتي واللغوي فيها وتسخير الكاتب أحيانا كثيرة لغة الآخرين لخدمة نواياه الخاصة. لكن ضيق المقام جعلني اكتفي ببعض النصوص القصيرة مثل هذا النص المأخوذ من رواية ريح الجنوب لبن هدوقة** "[(1)] وهو يقصد هنا إعطاء رؤية عن الحوارية في الخطاب، التطبيق الذي اشتغل عليه، وهو مقالات نقدية نشرت لمدير الخبر الأسبوعي آنذاك (2001) الأستاذ عبد العزيز بوباكير زاعما أن بها ملامح من نظرية التعدد اللغوي أو بالأحرى تعدد الأصوات السردية، وهي الركيزة الأساسية في تحقق الحوارية؛ حيث الشخصية تتحدث حسب انتمائها الاجتماعي ومستواها الثقافي، من دون تحيز، مستقلة عن صوت الراوي والكاتب، وتبنّى بوباكير هذه النظرية لنقد قصيدة للشاعر أبو جرة سلطاني ثم الرد على نقده بنفسه حسب قول عبد القادر بوزيدة. لكن كيف يسخّر الكاتب بوباكير لغة الآخرين لخدمة نواياه الخاصة مع خصمه السياسي؟ وهو يفتقر إلى المعرفة العميقة بالتخصص، نستشف من هذا الكلام إيديولوجية دكتاتورية للناقد تشبه أيديولوجية القذافي، المستعيرة لخطاب الآخرين حوله ورده عليهم (بأنهم ديكتاتوريون وأن شعبهم سيثور عليهم)، بل بالعكس فالحوارية تُضفي مساحة للرأي وتقلّص من إيديولوجية الفكر الواحد التي تضطلع به المنولوجية/سرد السيرة الذاتية إلى أبعد الحدود، ماعدا في حالة تقمّص الكاتب لأحد شخصياته ضمن تلك الحوارية حسب جيرار جينيت[(2)]، وتحسب حينئذ هذه التقنية للكاتب شطارة وحذق فني.

* . بل وقد تجعل طالبها ذاك يصحح الأخطاء النحوية والصرفية لشواهد مأخوذة من أطروحات سابقة أخذ أصحابها درجة امتياز ليأخذ هو درجة مقبول!!

(1) - عبد القادر بوزيدة، **فلسفة اللغة والمبدأ الحواري عند باختين**، ص71.

(2) - جيرار جينيت، **عودة إلى خطاب الحكايا**، ص 192.

أما عبد الحميد بن هدوقة رحمه الله فكان روائي اشتراكي نقدي، منتقد للسلطة وهذا ما تجلى في روايتي « الجازية والدراويش » و«غدا يوم جديد» حين يجعل الدراويش / الإسلاميين والسلطة / الشرطي في خانة واحدة، ومنتقدا بالضرورة من يتخندق في فلكهما من المثقفين كالطاهر وطار في تلك السنوات من الثمانينيات على الأقل، وكان الأخير يتملّقهما كليهما بأيديولوجية الأدب الملتزم كعادته ــ أحادية الصوت السردي في رواياته ــ ويلتقي بهم عبر متخيله السردي أي عبر شخصية برهما وشخصية الطالبة الجامعية جميلة في رواية « العشق والموت في الزمن الحراشي» حيث يتفق برهما مع جميلة على الدفاع عن "مكتسبات الثورة" ومنها الثورة الزراعية ضد البورجوازية الصاعدة، فنال وطار رضى السلطة على إثرها وعيّن مديرا للإذاعة الوطنية، أما ابن هدوقة فهو من المثقفين القلائل الذين حاولوا الوقوف على الجرح قبل فوات الأوان للأسف همشوا، ولعلّ الناقد بوزيدة لم يدور في خلده ما جرّته أيديولوجية الإقصاء من آلام على البلاد والعباد لأنه ينتمي لمؤسسة واجبها الطاعة، " **هناك محاولات من الفلاسفة والمفكرين ومن فئات اجتماعية وحركات دينية عبر التاريخ كانت تطفو على السطح، لكنها دائما، إما أن يقضى عليها أو تهمش. وفي كل مرة كان ينجح نسق الطاعة في فرض اجتهاداته** "[1]

ويرغب الناقد والأستاذ الأكاديمي عبد القادر بوزيدة تحليل روايتا « الحوات والقصر» و« الزلزال » بمنهج لابد أن يأتي على المقاس، على قصر رواية ريح الجنوب لم تظفر منه بغير فقرة واحدة للتحليل، كيف له إذن أن يتناول روايتين طويلتين؟ لعلّه سيكتفي آنئذ بسطرين فقط منهما، ثم أن الحوارية ليست التحدث بلغة الآخرين بضمير (أنا) فقط، بل كذلك بضمير (أنت) وضمير(هو)، فلماذا لم تبحث لنا ولهم عن أمثلة؟

في نهاية مقاله "فلسفة اللغة و المبدأ الحواري عند باختين" يورد بوزيدة تعقيبا أو نقد النقد، في إطار تطبيق نظرية حوارية اللغة موضوع بحثه النظري على أحد النقاد الصحفيين، كان حريّ به التعقيب عليه في جريدته التي نشر فيها مقاله وجريدة كل من جزائري حامل لبطاقة هوية خضراء شأنه شأن النقاد الأكاديميون في المشرق العربي ومصر الذين ذكرناهم أعلاه، لكنه أولا يتعالى من موقع أستاذ أكاديمي عريق فيتقوقع معقبا عليه في مجلة "اللغة والأدب" مجلّة نخبة النخبة مساهما في انحصارية الفعل النقدي الأدبي بشكل عام، وثانيا متحاشيا حتى ذكر اسمه مخافة التعقيب أو ردة الفعل، وخلاصة التعقيب أن عبد القادر بوزيدة يقف موقف نقدي أيديولوجي نفعي مع الإعلامي عبد العزيز بوباكير مدير الخبر الأسبوعي آنذاك/ في بداية الألفية الثالثة ــ الذي دخل مؤخرا مجال كتابة التاريخ « مذكرات الشاذلي بن جديد » ففشل مثيرا ضجة بشهادة المختصين ــ ضد الشاعر أبو جرة سلطاني من التيّار الإسلامي المعتدل قائلا: " في الآونة الأخيرة نشرت إحدى الصحف الجزائرية مقالا يردّ فيه صاحبه[2] على مقال كتبه رئيس تحرير جريدة الخبر الأسبوعي، الأستاذ عبد العزيز بوباكير يقول صاحب المقال: "يبدو أن القصيدة الديوان أو الديوان القصيدة الذي نزل السوق خلال شهر مارس المنصرم تحت عنوان: < سيف الحجاج بين نار الدمار ورياح الوئام > لصاحبه الوزير الشاعر أبو جرة سلطاني بدأ يملأ الدنيا ويشغل الناس.

ولا أدل على ذلك من الحملة المسعورة التي شنّها ويشنّها عليه الشويعريون والنويثريون، شأنه شأن أبو الطيب المتنبي الذي كثر حساده ومناوئيه من الشعراء والأدعياء حين قال فيهم: أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول، وهو موقف ينطبق على شاعرنا أبو جرة سلطاني. ومن آخر مناوئيه النويثر عبد العزيز بوباكير صاحب مقال "الوزير الشاعر والنمونكلاتورا " (..) الذي شنّ حملة أحسن فيها إليه من حيث أراد الإساءة (..) وذهب الحقد بهذا المناوئ إلى حد الزعم أن أبو جرة سلطاني انتهى كشاعر لانصراف شيطان شعره عنه، بعد أن بالغ في مدح سياسة الوئامين.. المدني والوطني (..) ولجهله بمدلول المصطلحات، مدح السيد الوزير

(1) - زياد العناني، **http://www.alghad.com/articles/651942** ، موقع الغد.

(2) ـ فيما نعتقد فرضا نحن أنه صحفي وناقد وروائي يعمل في الخبر اليومي أو الأسبوعي، يصر الأستاذ عبد القادر بوزيدة مطبّقا نظريته تلك على أنه هو عبد العزيز بوباكير نفسه، ينقد نقده الذي سبق أن وجهه لقصيدة هي قصيدته، لكنه ينسبها عمدا للشاعر أبو جرة سلطاني ليُعمل معاول النقد الجارح في شخص آخر غيره، ونقده في المرة الأولى كان سلبيا على المنقود، أي ذاته المستبدلة بالشاعر الوزير، تحت عنوان "الوزير الشاعر والنمونكلاتورا "، أما الثاني فكان إيجابيا على المنقود المستبدل به / الوزير، وسلبيا على نفسه من خلال هجاءها.

من حيث أراد ذمّه لم يتردد أن زعم أن "الشاعر الوزير امتنع عليه قول الشعر ونضب فيه معين الأخيلة وجفّت عنه القريحة وخانه الكشف الذاتي حين عاد إلى نثر الحياة ففقدت لهجته وهجها وحرارتها " وإني أسألك يا صاحب المقال متى كان ذلك؟ هل بعد العودة إلى نثر الحياة أم قبلها؟ وقد أجبت بقولك: " إن الوزير الشاعر حين عاد لنثر الحياة فقدت لغته وهجها وحرارتها " **فأنت بذلك تقر بأن لغته الشعرية ذات وهج وحرارة!.. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تنفي عته الشاعرية وأدواتها! اللهم إلا إذا كنت متحاملا مكابرا!** "[1] والأستاذ بوزيدة هنا فهم **نثر الحياة** على أنه **الشعر** بينما المقصود به هنا **اللهجة الجزائرية.**

حسب اعتقادي الجازم المدعم بالبراهين أن هذا الكلام هو لناقد صحفي محترف وليس كلام عبد العزيز بوباكير، أما الرّد فلا يأتيه من قبل الشخص المنقود بوباكير، ولكن يأتيه من صديق بوباكير وابن حومته وابن حزبه وابن اتجاهه الأيديولوجي، وهو الأستاذ الجامعي المختص في الأدب المقارن والأنثروبولوجيا الثقافية عبد القادر بوزيدة، وليس في جريدة الخبر اليومي، بل في مجلة اللغة والأدب التي لا يتعدى نشرها أصوار الجامعة قائلا: **"** كلام من هذا؟ إن هذا الكلام موضوع كله على لسان الشخصية التي توجه بأسلوب جدالي نقدها إلى الأستاذ عبد العزيز بوباكير، عدا بعض الاستشهادات التي ضمنها الناقد مقالته/ وهو ما يُدخل بعدُ التعدد اللغوي بشكل ظاهر. هذا المقال ينافح فيه صاحبه عن الوزير الشاعر، ويبلغ في ذلك حد المبالغة أحيانا. كما يوجه سهام النقد إلى مناوئيه فيسميهم " **الشويعريون** " و" **النويثريون** " و" الحساد " و" الأدعياء"؛ ويطلق على الأستاذ بوباكير لقب " النويثر" و" الحاقد المتحامل المكابر" و" الجاهل بمدلول المصطلحات " الذي مدح الوزير من حيث أراد ذمّه.

ولو نظرنا إلى هذا المقال (يواصل كلامه) في ضوء العلامات النحوية لفهمناه على هذا النحو، لكن هذا المقال هو في حقيقة الأمر مقال كتبه الأستاذ عبد العزيز بوباكير، انتحل فيه شخصية أخرى واقتبس منها لغتها ليشحنها، جداليا، من خلال اعتماد الصيغ المبالغ فيها، بمدلول هو النقيض للمدلول الظاهري لتلك اللغة وليعبّر بها عن قصيدته الخاصة. هذه القصيدة ليست لها في المقال لغتها الخاصة، إنها تستعير لغة الآخر وتتجادل معها من خلال المحاكاة الساخرة، فتتداخل اللغتان والصوتان في لغة واحدة تعني الشيء ونقيضه، وتعبر من خلال العلامة الواحدة المتصارع حولها عن موقفين اجتماعيين إيديولوجيتين مختلفتين، لكن صاحب المقال الحقيقي، خوفا من التورط في وحل اللغة الوثوقية ذات الصوت الواحد يضع، مثل رابليه، رغم أنه كتب مقالا وليس رواية، يضع مسافة بينه وبين اللغة فيعبّر، بلغة الآخرين عن قصيدته الخاصة. ونحن لا يمكن لنا أن نكتشف تلك القصيدة الخاصة دون النظر إلى النص في إطار السياق الخاص الذي جاء فيه؛ ولو فعلنا غير ذلك واعتمدنا الدراسة النحوية المحايثة وحدها لأوّلنا المقال كما يبدو في ظاهره على أنه موجه لنقد طروحات الأستاذ عبد العزيز بوباكير وقد تحول إلى حُطيئة معاصر يهجو نفسه"[2]

أما نحن فنصر على أن المقال هو من تأليف صحفي ناقد متمرس، ينقد لأجل النقد وجماليته لوحدهما والذي لم يشأ الناقد بوزيدة ذكر اسمه لأنه جرح كبرياء صديقه، فيُعمل معاول النقد الإيديولوجي المتمذهب انتصارا لصديقه متذرعا بالدليل العلمي أي بنظرية فلسفة اللغة ــ عدم الذكر هذا وحده خطأ منهجي في مجال النقد أكاديميا كان أو صحفيا من المفروض من لا يأتي بالاسم المنقود لا يُنشر عمله النقدي ــ ويطلق هذا الصحفي الناقد على الأستاذ ع. بوباكير لقب " **النويثر**" و"**الحاقد المتحامل المكابر**" و"**الجاهل بمدلول المصطلحات**" **الذي مدح الوزير من حيث أراد ذمه (..)** وهذا صحيح مثل ما ذكرنا اللغة والإبداع التي تطلع من لدن الإسلامي هي أرقى مستوى من التي تطلع من عند العلماني عندنا بالجزائر، وشرحناه أعلاه منتهجين بالمنهج التاريخي، وهذا ما يؤكده الواقع، حيث الشخصية الحضرية العلمانية في المدن الكبرى لا تكتسب العربية كما يكتسبها المحافظ في سياق الكُتّاب واللسان الصافي القريب من لغة

---

(1) ـ عبد القادر بوزيدة، **فلسفة اللغة والمبدأ الحواري عند باختين**، ص71.

(2) - المصدر نفسه، ص71.

القرآن الكريم ما أمكن، والخالي من الشوائب المتمثلة في المفردات الفرنسية واللهجات المختلفة من منطقة لأخرى المشبعة بالألفاظ التركية والأمازيغية.

أما عبد القدر بوزيدة فإنه يصر على أن المقال هو لبوباكير، يرد فيها على نقد سابق يُدخِل فيه المنافس ككبش فداء، وهم الإسلاميين إجمالا الذين يهابونهم كثيرا علمانيو الجزائر لبلاغتهم وفصاحتهم، وكأنه عندما يمسح الأرض بالإسلامي انتقادا فأنه بالضرورة يرفع بنفسه ومعشر العلمانيين المتعاضدين بينهم (بوزيدة مع بوباكير) وشعرهم إلى عنان السماء بالتقابل جدليا؛ أما التقابل في حد ذاته بين بوباكير وسلطاني يضعنا ندرك السجال الأيديولوجي والمذهبي من الطبيعة الثقافية للمجتمع، وبوزيدة كأنه ينافح عن ذاته ضد أبو جرة سلطاني كون وجه الشبه بينه وبين بوباكير أكثر من جلي، من منطلق كما ذكرنا سابقا أن العلماني والشيوعي أو الماركسي عندنا بالجزائر خاصة المتحضّر دون الريفي، يصعد للسماء يهبط يبقى متواضع اتجاه ملكة اللغة العربية، أو عاجز على حد تعبير عميد الأدب العربي أمام الإسلامي في صورة سلطاني، فنظرية استنساخ اللغة في مرحلة الطفولة المبكرة على صفحة بيضاء بالجاهزية الغريزية، وهو ما يعرفه العامة أيضا في عبارة "اللغة في الصغر كالنقش على الحجر" هو ما يفسر هذا العجز.

والتفسير العلمي لهذه النظرية تشومسكية تؤكد عودة مزيتها على صاحبها/المتكلم أكثر من لسان الجماعة، هي التي تؤكد طرح قصور من تلقوا اللغة الفرنسية بدل العربية في بدايات حياتهم ولظروف ما قد تكون تاريخية أو بيئية أو هما معا، فالجبلة بخاصة المعجمية من مفردات الأسماء والأفعال والصفات هو ما يعرف بالكنز اللغوي، ثم التمييز بينها عن طريق التوليد العشوائي للجمل غير مقصور على مستوى دون آخر حتى أستاذ التعليم العالي واقع في أحبولتها، لأنها ترجع كلها إلى النُّظم الأساسية أو مجموعة العناصر اللغوية التي يستخدمها هذا الأستاذ عندما كان طفلا والأساتذة الذين درّسوا في جامعة الجزائر 2 منذ الاستقلال كمرتاض وعمر بن قينة وأبو العيد دودو[1] وبوزيدة وخولة الإبراهيمي ومصطفى حركات انطبقت عليهم هذه الظروف. فجهاز اكتساب اللغة كما يسميه تشومسكي يعمل في فترة الطفولة المبكرة وإن فاتت هذه المرحلة يصعب على الإنسان تنمية قدراته اللغوية، وقد شوّشت الفرنسية لمّا تطبعوا عليها والسياق الفرانكو ـ أمازيغي على تلقيهم للعربية تلقيا طبيعيا، ولا يُلحظ ذلك في لا مطواعية لسانهم للعربية فحسب بل كذلكم لترهل مستوى ترجماتهم من الفرنسية إلى العربية وفي نشاطهم الأدائي والتحريري لوسائل الإعلام بالعربية الفصحى، "**يعتقد تشومسكي أن نمو اللغة حالة مبدئية من النضج، وأن العامل البيئي الوحيد الضروري للطفل كي يتعلم اللغة هو أن يتعرض لبعض اللغة و بعبارة أخرى المعرفة بقواعد اللغة، أي قواعد كيفية تجميع الكلمات في جمل وعبارات ذات معنى** (..) "[2]

ناهيك أن هذا الإسلامي الذي يناوئه بوزيدة ترعرع أول ما ترعرع في سياق العربية التامة الصفاء بضواحي تبسة، وليس الفرنسية أو اللهجة العاصمية الكثيرة الحشو بالألفاظ الأجنبية التي ترعرع عليها بوباكير، كما أن سلطاني ليس أي إسلاميا فهو إسلاميا أكاديميا بل وناقدا مثل بوزيدة، وشاعرا مشهود له بالشاعرية، وفي الحقيقية ما يُغيّب هذه الحقائق النقدية كلها هو الدفاع عن الإطار الأكاديمي للنقد الأدبي بكل السبل حتى وإن كانت غير عقلية ما يجر إلى التعصب وانتكاس الروح العلمية، حري بالناقد الأكاديمي الفكاك من أسر النفعية وحري به أيضا أولا وقبل كل شيء التزام الحيادية اللّهم في ظروف غير اعتيادية تتعلق بالمساس بالمقدسات الثلاث للهوية ورموزها، من شأن الروح العلمية الرُّقي بالبحث العلمي وبالثقافة معا وعندما لا يستجيب ـ يعترف ـ الناقد بأفضلية الآخر المفارق نتيجة أيديولوجيته أو مذهبه ماذا تنتظر

---

[1] - يعتبر الأستاذ الأكاديمي أبو العيد دودو (1934 ـ 2004) مترجما رائدا لتمكنه من عدة لغات غير أن المنقّب في ترجماته عن أسلوب أو أصالة عربيين لا يقع منهما على شيء؛ وقد وقعت له في مقال موسوم بـ" كالديسا" على عدم تحرٍ للسلامة اللغوية وعدم الدقة الناتجة عن بساطة قاموسه المعجمي، إذ يقول عواطفهن بدل أعطافهن أما قوله:" فلعلي أستطيع نقل هذا الإعجاب إلى القارئ أو أدعوه على الأقل إلى قراءة قصائده المطولة ومسرحياته في اللغة الأجنبية التي يحسنها إن هو لم يتمكن من قراءتها في اللغة العربية " فكأنه يتحفظ من مستوى ترجمته للقصيدة المطولة كالديسا إلى العربية عندما يخير قرائه بينها وبين القصيدة في اللغات الأخرى. ينظر أبو العيد دودو، **كالديسا**، اللغة والأدب، العدد 11، ص128.

[2] - وجيه المرسي، **http://kenanaonline.com/users/wageehelmorssi/posts/402215** ، موقع كنانة أون لاين.

من الساحة الثقافية سوى أن تكدّس نويثريون وشويعريون ونويقديون، بل واستقطابا يُبقي حال اللغة العربية الغير مطمئن على ما هو عليه.

فلو أن نظرية التعدد اللغوي التي ساقها عبد القادر بوزيدة دفاعا عن شريكه في المذهب الأيديولوجي /التوجه العلماني والسياق/ الإقامة بالعاصمة صادقة فكيف يهجو عبد العزيز بوباكير نفسه ويبهدلها؛ يرد على نفسه بنفسه بتعابير مهينة يسمّيها بوزيدة "لغة الآخر" وهو مدير مؤسسة الخبر الأسبوعي التي هيبتها من هيبة الوطن، لو كان مجرّد صحفي لاستسغنا الموقف، خلاصة القول أن عبد العزيز بوباكير لم ينوِ هذا التأويل أصلا لأن مستواه ومؤهله التكويني لا يسمح له الرّد مستعملا هذا التأويل، أي أسلوب تقمص لغة شخصية أخرى في نفسه لمناقضة شعره جدليا، بأنه أجود من شعر الوزير سلطاني: أي بنفي الشعر المقابل له يُثبت شعره، ثم أن أبو جرة سلطاني ليس نائما على أذنيه؛ لم يكن ليسكت لو كانت فقط قضية جدل نقدي آثارها بوباكير؛ لأن الأمر يتعلق بالسخرية المجانية من شخصية وزير، كان سيثير نقاده وهم كثر، فحقيقة الصحفي المجهول الذي برّز وبهدل بل مرمد كاتبا سبقه إلى الميدان وهو مدير الخبر الأسبوعي ثابتة ولا غبار عليها، وحقيقة عبد العزيز بوباكير هو أنه هاجم سلطاني منتقدا، ولم يكن مسلحا كفاية فأتاه اليقين من صحفي غيور؛ مدرك للغث من السمين شعرا ونثرا، لأنه يعمل في وسيلة منفتحة على جميع التيارات لا تأتيها إملاءات السلطة، كما في حالة المؤسسات الجامعية، بل أنّ "لغة التعدد اللغوي على لسان بوباكير" فَبْركة من تأويل الأستاذ بوزيدة تعاضدا وتكاتفا نفعيا مع ابن مدينته بعدما أهانه مجرد صحفي بسيط لكنه ناقد.

يستطيع الباحث قراءة مقال لأنه قصير لنقده ــ وليس "لانتقاده" التي ألح عليها بوزيدة كثيرا في مقاله و شتّان بين مصطلح "النقد" الذي نأمله جميعا ونبتغيه ومصطلح "الانتقاد" الهدام المفتش بنوايا أيديولوجية مذهبية في جبل من الإيجابيات عن النذر اليسير من السلبيات ــ أي ليبحث بعد القراءة عن المنهج النقدي الذي يلائم المقال، بينما في حالة الروايات والنصوص الطويلة الحادث عندنا هو العكس؛ دراسة المنهج النقدي دراسة معمقة وافية ثم البحث له من الروايات ما تلائِمه ؛ بحط مستواها (الروايات) إن كانت معارضة لأيديولوجية الناقد كما مر معنا، ورفع مستواها إن كانت تقع في ساحة التمذهبية للناقد، أي يرتكز النقد ههنا على مذهب الناقد وأيديولوجيته على حساب ذوقه الجمالي للأثر، لهذا يوصف الخطاب النقدي الأكاديمي والنقدي الصحفي (في بعض مراحله) بأنه خطاب درامي، أو ذلك النقد الذي غرباله مثقوب، لأنه متقوقع في سياق ضيق كسياق الصراعات الدرامية في النصوص الأدبية، أمام تنوع المناهج النقدية المعتمدة من طرف النقاد والباحثين من كل الاتجاهات.

خاتـمة (نتائج وتوصيات)

إن الحسم في مسألة اختيار المنهج المناسب لنقد أي أثر إبداعي يقتضي العودة إلى ما يشتمل عليه هذا الأثر من خطاب، وذلك لضبط أهم مرتكزاته، وهذه العودة من شأنها أن تساعد الناقد على تحديد دعائم المنهج النقدي الملائم، الذي بإمكانه أن يفي بممارسة نقدية علمية، مستوحاة أصلا من طبيعة العمل الأدبي المنقود. والعملية العكسية الانتقائية غير مرحب بها وهي سبب ضعفنا النقدي بالمقارنة مع مدارس النقد العربي في المشرق، أقصد هنا البدء بالبحث للمنهج عن نصوص مناسبة، وذلك ما يجعل الناقد متحيز ومتعجل القراءة.

إنّ إشكالية افتقاد خفة التحرير الأدبي لجريدة أو مجلة أو إذاعة قصد المساهمة الثقافية من أكاديميو قسم اللغة العربية وآدابها المختار ترجع أصولها إلى علاقة الجزائري المضطربة تاريخيا مع اللغة العربية، حيث الظاهرة تعم وتتغول كما يقول الإعلاميون لتشمل حتى النقاد الأكاديميين، لأنهم يعيشون مع غيرهم في المجتمع اللهجي ذي الهجنة اللغوية ولسانهم من لسان مجتمعهم وليس من لسان الخطاب (كما رأينا

مع الأستاذ حركات مصطفى) فأي خطاب كان هو جارٍ/تداولي وبمثابة الجدول في بحر اللغة الاجتماعية التي تجب كل ما عليها وتظهره بلونها.

لعلّ من بين الحلول الأخرى التي يقدمها هذا البحث في مجال النقد الأكاديمي كذلك، هو لابد من أن تفتح الجامعة الجزائرية الباب أمام الجامعات الخاصة/ المستقلة كما فتحته وزارة التربية الوطنية. حينها يستطيع الناقد الأكاديمي أن يعمل عمله بضميره وبصدق في ظروف مساعدة؛ لا يخشى من أن يجد نفسه معزولا من وظيفته التي درس لأجلها عمره كله، لأنه نقد بمسؤولية وأمانة علمية، سواء بمجلته المحكمة أو في المجلات واليوميات السيارة التي تتجاوز في ظل هذا الواقع مستوى المجلات المحكمة لغة وأحيانا منهجيةً علمية، حينها وفقط حينها يظهر هذا النقد على حقيقته وهو أنه نقد مُسيّس وأيديولوجي مفتقد للنزاهة العلمية تحت حجج وذرائع واهية منها ضرورة موافقة شروط إعداد البحوث الشكلية كنوعية الخط (قريبا وفي ظل هذا الواقع البائس سيفرضون على طلبتهم الكتابة باللون الزمرّدي! ثم ترفض بحوثهم بذريعته!) وهذه الذرائع تساق لإعاقة قدر الإمكان البحوث التي تتسم بجدية الطرح العلمي والموضوعي، لما كانت في ثوب من اللغة مطرز غال الثمن.

أما بخصوص الإشراف على مذكرات التخرج، لماذا تجاوز النقد ما بعد الحداثي النقد الحداثي الذي بدوره تجاوز النقد الكلاسيكي؟ إذا لم يكن لإضفاء مزيد من الصرامة والدقة البحثية، وسحب البساط أمام الانطباعات والتأويلات الشخصية، اعتقد أن الأمر سيان بالنسبة للمنهج المتبع في الإشراف على مذكرات التخرج في معقل هو معقل المنهج، حان الوقت لسحب البساط من تحت أقدام الفساد في مجال الإشراف، بإلغاء إشراف اللجنة ثم العرض أمام الملأ في شكل مناقشة تعطي الانطباع أن كل شيء جرى على ما يرام واستبداله بمجلس علمي مكوّن مثلا من خمسين 50 أستاذ مشرف عام؛ يقسّمون إلى خمسة مجموعات، كل مجموعة مكونة من عشرة 10 أساتذة قدماء وجدد بالتساوي من جميع التخصصات، وكل مجلس يتداول مهمته بالتناوب ــ كل مجلس مكون من 10 أساتذة يعمل شهرين في السنة ــ يتكلف بدراسة مذكرة زيد أو عمر بدون حتى معرفة شخصية صاحبها: في حضور شخص يقال له **مُرافق البحث العلمي** و هو إداري يكلف بمرافقة الباحثين والطلبة حيث يحضُر مناقشات المجلس دائما ويدوّن ملاحظاته عن كل طالب على حدى ثم يمد الطلبة بها خاصة في حالة الرسوب، تخضع المذكرة لدراسة جماعية من لدن المجلس تقيمها وتمنح لصاحبها العلامة المستحقة. مجلس يقنن المناقشة ويوجِد لها ضوابط وقواعد تحد من السطو على أعمال الغير وانحياز الأساتذة.

التنافس بين الأقلام الأكاديمية والأقلام الصحفية في مجال النقد الأدبي، والظواهر الملازمة له معيار حقيقي للرفع من مستوى النقد في القطر الواحد، ولما تكون الغلبة للنقد الأكاديمي كما تبين لنا من خلال النموذج المصري فإنه الدليل على صحة البلد ثقافيا وأدبيا، إذن الجواب لجدلية من يغذي أو يزود الطرف الآخر بالنقاد أهو النقد الأكاديمي أم النقد الصحفي؟ فعندنا بالجزائر عكس ما هو جاري في مصر النقاد الصحفيون الجزائريون هم من يلتحقون بالماستر أو الماجستير فيكونون خير زاد للنقد الأكاديمي، بينما الحاصل في مصر هو العكس، وهذا كله دليل كاف على الخلل في منظومة البلد الثقافية وعلى ضعف النقد الأدبي الأكاديمي، بل زيفه لما طال عليه الركون في ضعفه وبأساليب عصبية؛ مع ملاحظة أن لا فرق بين عاصمي وريفي بالنسبة للمصريين مع التحكم في اللغة العربية غير أن هناك فرق شاسع بينهما بالنسبة للجزائر وعدم أخذ هذا المشكل بعين الاعتبار رسّم الخلل وأجلاه للعيان، والحال تعكس أن **الأيديولوجيا عندنا بالجزائر نصّبت نفسها بديلا للإبداع أو ناطقا باسمه** أكثر بكثير مما هو في القطر المصري، فالمجتمعات المتماسكة ثقافيا ـ أقول ثقافيا فقط ـ تنزاح منظومتها الثقافية دائما لصالح ما هو أكثر رسمية أي إلى التعليم والأكاديمية وبعدها مديريات الثقافة ومؤسسات الإعلام، لذلك شهدنا في عصر النهضة العربية كيف أن المتخرج بشهادة ابتدائية يلج المؤسسات الإعلامية السيارة فيرفع من مستواها ويناقش النقد الأكاديمي فيرتفع مستواه به، كما حدث مع العقاد في معركه النقدية مع طه حسين عبر المجلات الثقافية والأدبية الحرة ثم احتدامها بالنخبة الأكاديمية؛ مع أحمد أمين، وزكي مبارك وأحمد زكي، ثم جابر عصفور وزكي نجيب

محفوظ. هذا لأخير أورث أول ما أورث "أدب المقالة" لمعشر النقاد الصحفيين ولم يورثها للنقاد الأكاديميين، وكل هذا الحراك النقدي بين النقد الأكاديمي والنقد الصحفي ساهم في إنضاج المجتمع المصري ثقافيا والجأً به معترك الحداثة، وهذا ما لم يحدث على الإطلاق في الجزائر.

حان الوقت أكثر من أي وقت مضى ـ تفاديا لتضييع مزيد من الوقت ـ ليس أفضل من استئصال الرداءة من الجدور لبناء أسس متينة جديدة على الأقل، إن لم تعط أدبا ونقدا رفيعا فإنها ليست مترفعة عن النقد تقبَلُه مهما كان مؤلما للذات، فإنه السبيل الأنجع لإحداث قطيعة مع كل ما هو قديم. مازال ورثة "الدودو" و"ركيبي" و"مرتاض" يعيثون به فسادا تحت مسميات عدة مخادعة ومضللة، أولا اللغة العربية لا يمكن علمنتها مثل الفلسفة والاجتماع والعلوم الدقيقة أبدا، ثانيا لابد من شرطين أساسيين يحظى بهما الدارس الناقد؛ علاقة الترعرع والنشأة وذكاء الذائقة، مع إعادة الاعتبار لفضل العرب المشارقة علينا، أساتذتهم ليس فقط علموا أجدادنا العربية وهم مصدر العلم الذي نحن بصدده بمدارسه وتياراته المختلفة في النحو و الشعر والنقد عندما كانت الجزائر غير موجودة أصلا، بل كذلك لم يتخلوا في فترات "العنجهية" التي أصابتنا من تصويب ما أمكن التصويب، يكون للتلقين المشيخي فائدة تذكر فقط إذا استثمرنا الكفاءات في المجال المتواجدة في بوادينا وصحرائنا شرط النأي عن العصبيات والأيديولوجيات نأي أمريكي ولد بالمنطقة، فلم يهمُّه لما شبّ سوى أنه فُطر على اللغة والأدب العربي، أما أصوله الأوروبية أو الهندية الحقيقية هي حداثته (الحرية والعقلانية والديمقراطية) وما ميز تاريخيا أغلبية العرب المشارقة أنهم اختاروا المدرسة الأنجلو ـ سكسونية أو النقد الجديد وتمسكوا به فكان أدبهم ونقدهم علمي إنساني في نفس الوقت بعد أن داخله النقد الفرنسي، ولم يتعلقوا لا باليمين ولا باليسار الذي تعلق به المغاربة وهم يختاروا مدرسة النقد اللاتيني ومدرسة النقد الشعري، وشتان بين هذا وذاك في درجة غموض المعارف وبالاستئناس بدور الأيديولوجيا التي أخذت لها مسميات عدة منها الجزأرة و"الوطنية" وبينما في حقيقتها ما هي إلا غرق في حمأة الغموض والتيهان عن الثقافة الأصيلة أو على الأقل الثقافة الشبيهة بالأصيلة.

كان بإمكان كاتب هذه العجالة أن يسير على ما سار عليه بوزيدة؛ ينتفع هو الآخر ويمدح المضمون ويهمل الشّكل كونه ليس صديقا للإسلامين، ومُقدم ربما على مناقشة أطروحة دكتوراه في عرين هؤلاء النقاد الأكاديميون العلمانيون والماركسيون، لكن مجال التخصص الذي اسمه اللغة العربية وآدابها وليس علم الاجتماع أو علم التاريخ، وكل ذلك إنما يمنعه من التحيز للرديء على حساب الجيد، أو قل ببساطة وإيجاز تمنعه الروح العلمية. وتكاد تكون هنا عدم الموضوعية رديفة النقص المعرفي، بل هي احدى سمات ذلك الاغتراب المستديم بين الأستاذ والتخصص. حيث أهمية الشكل أهمية جوهرية شرط أن تتصل بحد أدنى وعلى الأقل من الذوق، والذوق بعناصره (البلاغة والمخيلة الإبداعية) هو الضامن لعدم انحراف النقد الأدبي عن جوهر الأدب وهي الشعرية التي تعني جمالية المعنى، كما أن خطر علمنته متأتية ومتعدية من علمنة الأخلاق الأصيلة الغريزية في الإنسان تجعله لا يألُ جهدا في سبيل تحقيق مآربه تطفلا وتحقيق هواجس، والاسترزاق مُفَطَّر في الأنفس البشرية وعلى الأجيال يدور مَطلُوب لها كطلب اللب للقشور. ولعل تقليد أو تاريخية السياق السوسيو ـ ثقافي الذي تربّت في كنفه الدوغمائية التي تقصي الآخر بمتناقضات الحرية والدين، يجعلها مهما وقفت بإزاء شكلية الحداثة ليس بمقدورها الإخلاص لها، ولعل لا وعي الذوات ــ التي مثلنا لها ــ بالثقافة (إذن باللغة والأدب والخطاب) من لا وعيها اللا شعوري بسيميوطيقا الكون الثقافي المتعدد المختلف الذي يجمعها مع غيرها على هيئة "شكل" نتيجة لفعل رسوخي مسكر قامت به وتقوم به الدوغمائية، ولحسن الحظ أن الدوغما الشيوعية المضمَرة جُوا الماركسية هي في طريقها للانقراض من مؤسساتنا الأكاديمية بفعل الشيخوخة.

المصادر والمراجــع

1ـ الكتب:

1ـ حميد لحمداني، **بنية النص السردي من منظور أدبي**، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت 2000.

2ـ جيرار جينيت، **عودة إلى خطاب الحكايا**، ترجمة محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء 2000.

3ـ زكريا ميشال، **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)**، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت 1982.

4ـ عبد الملك مرتاض، **في نظرية النقد**، دار هومة، الجزائر، 2005.

5ـ عماد محمد، **اتجاهات الصفحات الأدبية في الصحافة المصرية في العقدين الأخيرين من القرن الماضي صحيفة الأهرام نموذجا**، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، 2010.

6ـ عمرو عيلان، **الأيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي دراسة سوسيو بنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة**، منشورات جامعة منتوري بقسنطينة، ط1، قسنطينة، 2001.

7ـ مجموعة من النقاد، **مدخل إلى مناهج النقد الأدبي**، عالم المعرفة، العدد 221، مايو 1997.

8ـ يوسف وغليسي، **مناهج النقد الأدبي**، جسور للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2009.

2ـ المقالات:

1- باقر جاسم محمد، « نقد النقد أم الميتا نقد؟ محاولة في تأصيل المفهوم »، **عالم الفكر**، المجلد37، العدد 3، مارس 2009.

2- جابر عصفور، « قراءة في نقاد نجيب محفوظ ملاحظات أولية »، **فصول**، المجلد1، العدد 3، أفريل 1981.

3ـ حبيبة العلوي، «مدخل إلى المقاربة السيميائية للنص الرقمي»، **مجلة اللغة والأدب**، العدد 26، ديسمبر 2015.

4- عبد القادر بوزيدة، «فلسفة اللغة والمبدأ الحواري عند باختين »، **مجلة اللغة والأدب** ، العدد 15 ، أفريل 2001.

5ـ محمد شنوفي، «فن السخرية في الصور السلوكية عند أبو العيد دودو»، **مجلة اللغة والأدب**، العدد 5، 1994.

6ـ مجموعة من الكتاب، مدخل إلى ناهج النقد الأدبي، **عالم المعرفة**، العدد 221، مايو 1997.

7ـنجوى القسطنطيني،«في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره»، **عالم الفكر**، المجلد38، العدد1، يوليو/سبتمبر 2009.

8ـ وريدة أغادير، « إشكالية تعليم النحو »، **مجلة اللغة والأدب**، العدد 29، ديسمبر 2015.

3ـ المواقع الإلكترونية:

1ـ حميد عبد القادر، «نُقاد جزائريون، فكرة المركز و الأطراف غيّبت الشعر الجزائري»، 8 /2017/12، موقع **الضفة الثالثة** ، https://www.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2017/12/6

2ـ زياد العناني، « الطاهر لبيب عالم اجتماع فكك صورة الآخر ورفض الصورة النمطية للأكاديمي العربي »، 2010/8/8، موقع **الغد**، http://www.alghad.com/articles/651942

3ـ وجيه المرسي، « نظريات اكتساب اللغة و تعلمها »، 2012/4/2، موقع **كنانة أون لاين**، http://kenanaonline.com/users/wageehelmorssi/posts/402215

Abstract in English

Between academic literary criticism and journalistic literary criticism, an introduction to criticism of the "University of Algiers 2" model.

Bouziane Baghloul: independent researcher in cultural and stylistics criticism, Algeria.

Abstract: Criticism of criticism - be it modernist or traditional - on its purely poetic or formal side may not present the problem of interpretation of the intention or the real motive of this critic of criticism, but criticism of criticism in its ideological or contextual side that concerns literary criticism as an applied criticism of texts and not at its theoretical level. Originally located outside the concerns of criticism of criticism as opposed to applied practice in the extent of its devotion to the method, if the existence of literary criticism is linked in its origin to the existence of its subject, which is literature, then it works on it for analysis, study and theorizing, then criticism of criticism is linked in its origin to the existence of applied practice on the literary text. The distinction between our naming of critical theories and approaches developed specifically for the analysis of the literary text as “literary criticism,” which deserves theorizing, and the critical practice that subjects the literary text to the critical approach and deserves criticism of criticism. When criticism of criticism touches the business owner to seek what is believed to be grammatical, translational, and other pitfalls. The intention to criticize, not to criticize, especially if the approach followed in literary text criticism is a contextual approach (such as the historical method) or post-structural (such as cultural criticism), then it is as if the criticism of criticism has been created by its companions specifically for critics Those who do not apply structuralism unless it is purely Arab theorizing, or who do not fundamentally believe what Maghribines have done in theorizing structural approaches as an ideology that does not fail to be careful about the translation and Arabization of the term, nor the direction of the diversity and originality of the Arabic lexicon, nor the direction of the Arab culture. so, what criticism of criticism in such a case is not an attempt to settle scores, or an innocent claim to scientific objectivity.

In this context, the goal of our research revolves around: Investigating the objectivity of scientific research at the academic level (criticism of criticism and literary criticism alike) and the manner of rigorous scientific research performance, which is as far as possible away from the suspicion of standing in biased positions, because many of the articles published by us in the refereed scientific journals of the University of Algeria reveal results that may delude that their owner is about Exceeding value judgments, but the truth may prove the opposite, because it is often the modest and lean technical aspect that reveals that ideology accompanying the release of subjective and irrational judgments in a field in which it does not improve. We also hope from our research this at the same time to stand through criticism of criticism also - albeit partially - on the academic literary critical achievement, by comparing it with literary journalistic criticism, using the historical method and the transformative generative grammar theory.

Keywords: Literary Criticism, Academic criticism, Meta – Metacritic, Contemporary Algerian literary criticism, Refereed scientific journals.